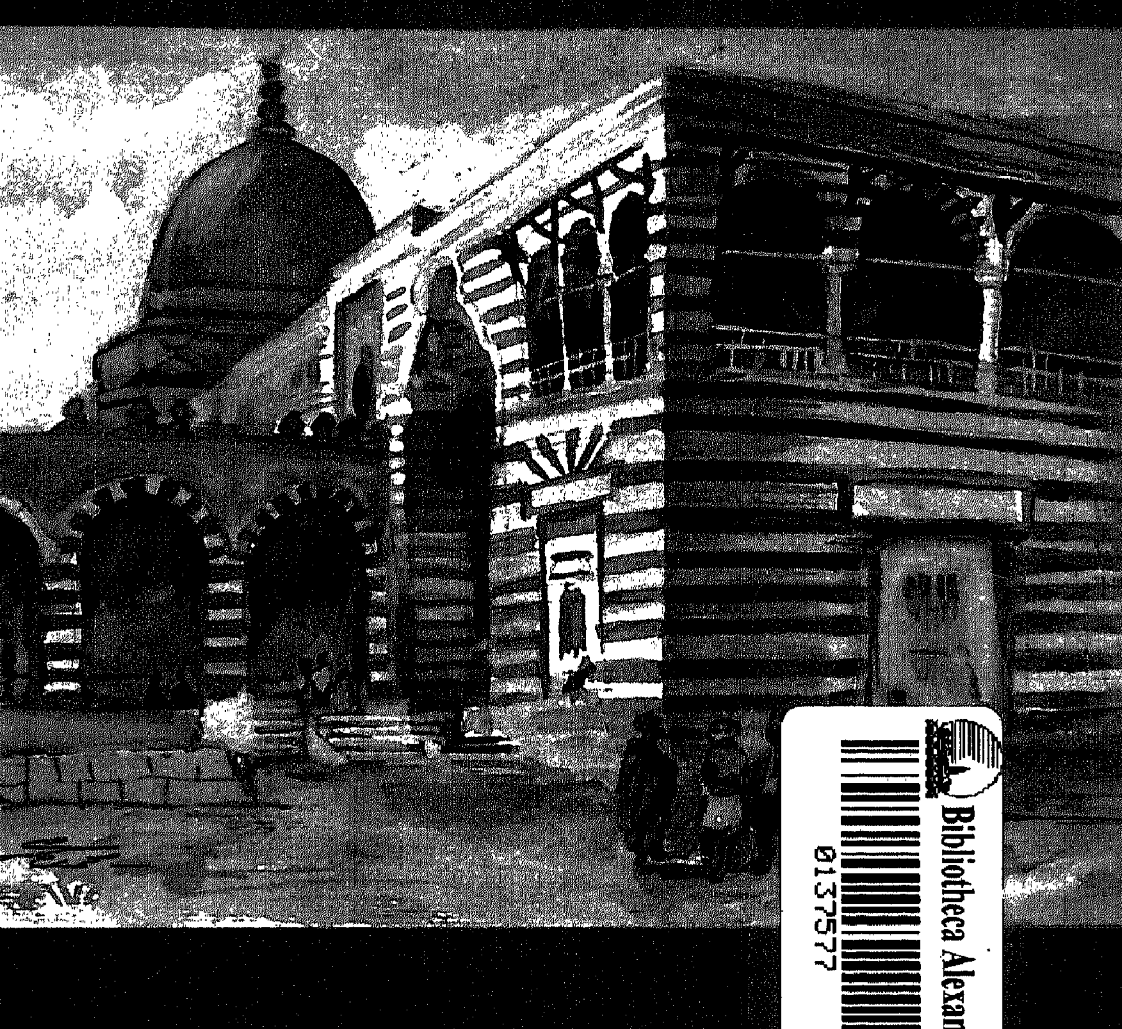
ميادين القاهرة

فى العصر المملوكى



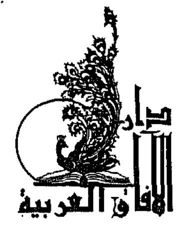
محمّد الششتاوى

الآفاق العربية

ميادين القاهرة

فى العصر المملوكى

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م



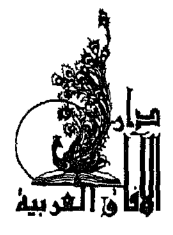
القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت
(من شارع الطيران) - مدينة نصر
تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ١٨٩٥ لسنة ١٩٩٩
الترقيم الدولى : 977-5727-39-1

ميادين القاهرة
فى العصر المملوكى

تأليف

محمد الششتاوى



الميــادين

الميـاديـن (١) هى تلك الأماكن الواسعة التى تتوسط المدن أو تكون بضواحيها ، وقد استخدمت تلك الميادين استخدامات عديدة فهى أماكن لتدريب الجيوش وتجميعها واستعراضها ، وهى كذلك متنزهات عامة فهى ملتقى أهل المدينة للاجتماع فى الاحتفالات والمواسم والأعياد، وكذلك الفرجة على الألعاب الرياضية والفروسية من سباق الخيل والمران على الطعن بالرماح والقتال بالسيوف ، والألعاب الشيقة مثل لعبة الكرة (البولو) ولعبة القبق وغيرهما .

والميادين فى مصر الإسلامية قديمة ، ويرجع لأحمد بن طولون بداية عمل الميادين الكبيرة، وكان لميدانه الذى أنشأه مجاوراً للقطائع والذى يمتد من مشهد السيدة نفيسة حتى ميدان صلاح الدين حالياً ذكر كبير فى التاريخ (٢) ، وتوالت الميادين بعد ذلك ففى ظاهر الفسطاط كان للإخشيد ميدان كبير أدخل فى حدود مدينة القاهرة فيما بعد (٣) ، وفى الدولة الفاطمية كان ميدان بين القصرين هو قلب المدينة النابض وأهم

---

(١) الميدان فى اللغة هو « فسحة من الأرض متسعة معدة السباق أو الرياضة ونحوها ، يقال ميدان السباق ، وميدان الكرة ، وميدان الحرب ، والجمع ميادين » . انظر : المعجم الوجيز ، مادة ماد .

(٢) انظر بالتفصيل : المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٣١٣ - ٣٢٦ .(٣) نفسه ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ .

موضع بها (١) ، وفى عصر الدولة الأيوبية انشئ العديد من الميادين استمرت بعضها قائمة فترة فى العصر المملوكى (٢) .

وفى العصر المملوكى تعددت ميادين القاهرة تبعاً للامتداد العمرانى الكبير لها فى ذلك الوقت ، ومن أهم هذه الميادين التى لعبت دوراً كبيراً فى التاريخ ميدان الرميلة وميدان تحت القلعة والميدان الناصرى على النيل وميدان بركة الفيل وميدان المهارى وميدان القبق بالإضافة لاستخدام أرض بركة الازبكية وبركة الفيل كميدانين فى حالة خلوهما من الماء .

وفى العصر العثمانى قل الاهتمام بأمر الميادين ونقص عددها عما كان فى العصر المملوكى وذلك للبناء فى بعضها ، وتحويل بعضها لبساتين ومزارع ، واهمال البعض الآخر ، ولكنهم أضافوا ميداناً جديداً كبيراً هو ميدان النشابه بديلاً عن الميدان الناصرى على النيل بمنطقة القصر العينى (٣) .

وكانت أرض هذه الميادين ممهدة وترش بالماء بانتظام وتوجد فى بعضها مصاطب لجلوس المشاهدين حيث كانت هذه الأمكنة لا تسع الناس من كثرة الحاضرين ، كذلك كانت تقام فى بعضها وقت المباريات خيمة كبيرة للسلطان (دهليز) وخيام أخرى للاستراحة وفى بعضها قصور وأماكن خاصة مثل تلك التى تحيط بميدان سرياقوس (٤) .

---

(١) نفسه .

(٢) انظر ما يلى ، ص ٣٧٦ .

(٣) انظر خريطة الحملة الفرنسية .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١١١ ، ١٩٩ . عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر (نشر مكتبة الانجلو المصرية ،ط ٢ ، ١٩٨٢) ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ .

(١) ميدان الرميلة وميدان تحت القلعة

يعتبر ميدان الرميلة وميدان تحت القلعة من أهم البقاع بمصر بما مر بهما من أحداث سياسية واجتماعية خلال تاريخ مصر الاسلامى ، وقد بلغا شأناً عظيماً بوجه خاص فى العصرين المملوكى والعثمانى ، وكانا متنزهين جليلين بالاضافة لأنشطة واستخدامات أخرى مثل الاستخدام فى صلاة العيدين ، وفى عمل المواكب السلطانية والاحتفالات ، وفى استقبال واستضافة الرسل والسفراء ، وفى استعراض الجيوش وغير ذلك .

والميدانان متجاوران فالرميلة يقع شمال غرب الآخر وكان يفصل بينهما أحياناً سور [١] .

وتأتى تسمية الميدان بالرميلة لأن أرضه والأرض المحيطة به كانت واقعة بين شرفين (هضبتين) عاليين هما الشرف الذى بنيت عليه قلعة الجبل شرقا ، والشرف الآخر هو الذى بنيت عليه قلعة الكبش ، وكان الميدان ملتقى وامتداد لرمالهما وترابهما فسمى باسم الرميلة ، وأحياناً كان يطلق عليه الرملة [٢] .

---

(١) يتضح هذا السور فى خريطة نيبور للقاهرة وكذلك فى خريطة الحملة الفرنسية .

(٢) كان اسم الرملة يطلق أحيانًا على الطريق الصاعد من ميدان الرميلة إلى باب المدرج بالقلعة ويمثله الآن سكة المحجر خصوصًا فى النصف الثانى من عصر المماليك الجراكسة، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤ ، ص ٥٦ .

تاريخ الميدان وعمارته قبل العصر المملوكى :

كانت أرض الميدان مجرد أرض فضاء حتى عمل أحمد بن طولون ميدانه بهذه البقعة وفى العصر الفاطمى صارت سوقاً يباع فيه الخيل والدواب وفى العصر الأيوبى اهتم به الملك الكامل (٦١٥ - ٦٣٥ هـ / ١٢١٨ - ١٢٣٨ م) وبنى أسواره وعمل بجانبه ثلاث برك لسقيه وأجرى الماء إليها (١) ، واهتم به كذلك باقى الملوك الأيوبيين منهم الملك العادل الثانى (٦٣٥ - ٦٣٧ هـ / ١٢٣٨ - ١٢٤٠ م) والملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧ - ٦٤٧ هـ / ١٢٤٠ - ١٢٥٠ م) الذى جدد له ساقية وغرس حوله الأشجار (٢) .

حدود الميدانين ومساحتهما فى العصر المملوكى :

بعد الرجوع إلى الوثائق والمصادر والخرائط القديمة نستطيع أن نعين حدود كل من ميدان الرميلة وميدان تحت القلعة فى العصر المملوكى والذى لم يتغير أى منهما كثيراً فى العصر العثمانى .

فأما الأول وهو ميدان الرميلة فهو ذلك الفضاء المتسع المحصور بين باب القلعة الذى يعرف بباب العزب (٣) وامتداد سور القلعة على جانبيه من

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٧٧ - ٣٧٨

* ذكر المقريزى أن الملك الكامل بنى هذا الميدان سنة ٦١١ هـ، وكان الكامل ينوب عن أبيه الملك العادل أبو بكر (٥٩٦ - ٦١٥ هـ / ١٢٠٠ - ١٢١٨ م) فى تصريف الأمور بمصر .

(٢) نفس المصدرين والصفحتين .

(٣) باب العزب كان يعرف بباب السلسلة وباب الاصطبل فى العصر المملوكى ، ثم عرف بباب الانكشارية ثم باب العزب فى العصر العثمانى ، وسمى بذلك نسبة إلى طائفة من عسكر الجيش العثمانى تسمى طائفة غربان مهمتهم المحافظة على القلعة . انظر : محمد رمزى، تعليقه على النجوم جـ٧، ص ١٦٣ .

جهة الشرق وبين جامع الرفاعى ومدرسة السلطان حسن وقسم الخليفة من جهة الغرب ، وحده الشمالى يمتد من أول سكة المحجر فمدرسة قايباى اميراخور (أثر رقم ١٣٦) حتى جامع الرفاعى [١] ، أما حده الجنوبى فيمتد من مصلى المؤمنى [٢] (أثر رقم ١٤٨) لمتحف مصطفى كامل والحديقة بجواره حتى جنوب باب الغرب لمسافة ثلاثين متراً . (شكل ٦١) ، (لوحات ٣٣ ، ٣٦) .

وكان الجزء الشمالى الغربى من الرميلة أمام مدرسة السلطان حسن وموضع جامع الرفاعى يشغله سوق الخيل [٣] ، وتعرف المنطقة التى بها الرميلة الآن باسم المنشية قسم الخليفة .

---

(١) نلاحظ ان مسجد المحمودية (اثررقم ١٣٥) الذى بنى فى العصر العثمانى قد اخل بالحد الشمالى لميدان الرميلة إذ انه تعدى على أرض الميدان ، ويؤيد ذلك وثيقة السلطان محمود رقم ١٠٢٢ أوقاف ولم تذكر أن الأرض المقام عليها المسجد كانت ضمن أوقافه .

(٢) مصلى المؤمنى بناها أول الأمر الأمير سيف الدين بكتمر المؤمنى الذى أنشأ سبيل ومصلى المؤمنى وقد توفى سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، وكان هذا المصلى هو المصلى الرسمى للأموات فى العصر المملوكى وكان يصلى فيه على وجوه الناس والأمراء والشهيرات من النساء،وقد تعرض السبيل والمصلى للكثير من عوامل التخريب والتدمير أو الحريق ومن ثم كان يعاد تعميره من جديد فجدده يشبك من مهدى سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م والناصر محمد بن قايتباى ثم عمره السلطان الغورى عمارة حافلة فى سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م وأنشأ إلى جانبه حوضاً وساقية وعمر هناك مغسلين برسم الأموات من المسلمين من الرجال والنساء وميضأة وغير ذلك مما ينتفع به .
انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ١٥٣، ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص ٤٨٨، ، ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٣، ص ٣٩٧ - ٣٩٨. عبد اللطيف إبراهيم ، دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى، ص ٨٧ - ٨٨.

(٣) اشارة «المقريزى» فى الخطط، إلى سوق الخيل فى كلامه عن القطائع ، جـ١، ص ٣٢٣، وفى كلامه على قصر يلبغا البحياوى، جـ٢، ص ٧١، وعلى صفة القلعة، جـ٢، ٢٠٤، كما اشار إليه «ابن تغرى بردى» فى، النجوم الزاهرة، جـ٨ ، ص ٤٣، جـ٩ ، ص ٩٨، جـ١٠، ص ٣١ - ٣٢.

أما الميدان الآخر وهو ميدان تحت القلعة فكان يمتد بعد جنوب باب الغرب بثلاثين متراً ، ويمتد جنوباً إلى قريب من باب القرافة [١] بميدان السيدة عائشة ، وهذا الميدان من حقوق القلعة وكان له أسوار وأبواب منها باب يطل على الرميلة وباب جهة باب القرافة [٢] ، ولا يزال يوجد للآن جزء من بداية سور الميدان الغربي (أثر رقم ٦١٧) . ويعرف هذا الميدان الآن بميدان صلاح الدين [٣] .

وعلى هذا يبلغ اجمالى طول الميدانين معاً فى العصر المملوكى ٧٥٠ متراً فى المتوسط وعرضهما المتوسط ١٠٠ متر ، هذا ويمكن اجمال حدود الميدانين معاً فى العصر المملوكى بالحدود التالية : الحد الشرقى من أول سكة المحجر فباب العزب فسور القلعة حتى مسجد الغورى بعرب يسار أثر رقم ١٥٩) والحد الجنوبى من مسجد الغورى حتى جامع السيدة عائشة حتى جامع الرفاعى ، والحد الشمالى من جامع الرفاعى إلى أول سكة المحجر .

---

(١) باب القرافة هو أحد أبواب القاهرة الخارجية القديمة التى بنيت أيام صلاح الدين وبقاياه لا تزال موجودة بسور مجرى العيون بميدان السيدة عائشة ويبعد حوالى ثلاثين متراً إلى الغرب من الباب الذى عمله قايتباى سنة ٨٨٩هـ/١٤٩٣م بدلاً منه، وكان أهل القاهرة يخرجون من هذا الباب إلى جبانة الإمام الشافعى التى كانت تعرف بالقرافة الصغرى، وكان الباب القديم مجهولاً حتى كشفه المرحوم المهندس عباس بدر. انظر: محمد رمزى، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص١١١. ...Creswell, Op. Cit., Vol. 11, PP. 57 - 58

(٢) ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ ٣ ، ص ٧٠١، الصوالحى (إبراهيم بن أبى بكر الصوالحى العوضى الحنبلى)، تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، (نشر المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة، سنة ١٩٨٦)، ص ٩٩.

(٣) يشغل جزءاً من الميدان الآن من الجنوب للشمال منتزه عام وخزان مياه وبعض البيوت والورش والمصانع ومحطة سكة حديد القلعة ومتحف مصطفى كامل ومحطة اتوبيس القلعة.

عمارة الميدانين فى العصر المملوكى :

أما عن عمارة الميدانين فى العصر المملوكى فنقول أن ميدان الرميلة ظل عامراً طول العصر الأيوبى حتى تعرض للتخريب والاهمال فى بداية العصر المملوكى على يد السلطان الملك المعز أيبك (٦٤٨ - ٦٥٥ هـ) وكان ذلك سنة ٦٥١ هـ [١] ، وظل كذلك حتى اعتنى به الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ففى جمادى الآخرة سنة ٧١٢ هـ أصدر الناصر محمد مرسوماً بعمارة الميدان تحت القلعة فمهدت الأرض من بابا الاصطبل (باب العزب) إلى مسافة نحو باب القرافة [٢] ووزع عمله على الأمراء ، فتم تغطيته بالطين وزرع وحفر به الآبار وركب عليها السواقي وغرس فيه النخيل والأشجار المثمرة وأدار حوله سوراً كان موجوداً زمن المقريزى [٣] ، (ت ٨٤٥ هـ) ولا يزال جزء منه باقياً بالجانب الغربى للميدان حتى يومنا هذا (أثر رقم ٦١٧) .

ورتب فيه الناصر محمد لعب الكرة هو وأمرائه يومى الثلاثاء والسبت كل أسبوع [٤] ، وكان الناصر محمد قد زاد البئر الظاهرى الذى أنشأه

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٢) يتضح امتداد ميدان تحت القلعة حتى باب القرافة من نص أورده « ابن ايبك » قال فيه : « أنه فى أواخر سنة ٧١٢هـ خرب باب شادية الذى كان بجوار باب القرافة ودخل فى الميدان المستجد الذى تحت القلعة المنصورة » . كنز الدرر، جـ ٩ ، ص ٢٨٢ .

(٣) الخطط، جـ ٢ ، ص ٢٢٩ ، وقد ورد ذكر السور السلطانى فى كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف ص ٤٦١ ، حيث انه كان يمثل الحد الشرقى لمصلى المؤمنى التى جددها الغورى فعرفت باسم مسجد الغورى (أثر رقم ١٤٨) .

(٤) ابن ايبك، كنز الدرر، جـ ٩ ، ص ٢٤٥ ، المقريزى، الخطط ، جـ٢ ، ص ٢٢٩ ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٥٣٨ ، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٩ ، ص ١٧٩ ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

الظاهر بيبرس المجاور لزاوية تقى الدين رجب الشيرازى (أثر رقم ٤٧٦) بأن عمل عليه نقالة إلى بئر الاسطبل (١) .

وفى عام ٧١٨ هـ أنشأ الناصر محمد مجرى مياه محمولة على عقود كانت بدايتها من النيل فى مصر القديمة وجعل لها عدة سواقى فى عدة أماكن لتصب المياه فى الميدان (٢) .

وقد وصف « ابن فضل الله العمرى » المتوفى سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ الميدان فى زمن الناصر محمد ، فبعد ذكره للقلعه ومساكنها قال « .. ثم نذكر بقية ما يتعلق بالقصر السلطانية (٣) فنقول أنه ينزل من جانب أيوان القصر إلى الاصطبلات السلطانية (٤) ، ثم إلى ميدان ممرج بالنجيل

---

(١) المقريزى، السلوك، جـ ٢، ص ١٢٤.

(٢) ابن دقماق، الجوهر الثمين جـ٢، ص ١٥٣ ، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق١، ص ٤٤٩، هذه المجراة ذكر « إبن إياس » أنها كانت موجودة ايامه عند دوب الخولى وهى غير المجراة الجديدة التى بناها الغورى وهى الموجودة حاليًا، وبناءاً على هذا نرى أن بداية مجرى الناصر محمد كانت جنوب المجرى الحالى وطبقًا للواقع الطبواغرفى والأثرى للمنطقة أرى أنها كانت على النيل عند كوبرى الملك الصالح، وتسير فى شارع صلاح سالم إلى أن تتصل بالسور القديم الذى بناه صلاح الدين واستخدم لنقل المياه بالقلعة.

(٣) القصر السلطانية هو المعروف بالقصر الأبلق وكان يشرف على الأسطبل السلطانى، وقد انشاه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى شعبان سنة ٧١٣هـ، وانتهت عمارته سنة ٧١٤هـ وانشا بجواره جنينة. وهذا القصر لا تزال بقاياه موجودة حتى الآن (أثر رقم ٥٤٩) على يسار الداخل إلى منحف الشرطة بالقلعة. انظر: المقريزى، الخطط، جـ ٢، ص ٢٠٩، محمد رمزى، تعليقه على النجوم ، جـ ٩، ص ٣٦.

(٤) الأسطبل السلطانى كان يختص بخيول السلطان، ومكانه اليوم مجموعة المبانى التى بها مخازن وورش هيئة الآثار الواقعة على يمين الداخل من باب العزب الذى كان يسمى قديمًا باب الأسطبل فى المسافة الممتدة من جامع احمد كتخدا العزب (أثر رقم ١٤٥) إلى نهاية الورش الخاصة بهيئة الآثار المصرية، ومن المعروف ان منسوب الأسطبل فى مستوى أدنى من مستوى القلعة، ويحيط به السور الأسفل الغربى المشرف على ميدان صلاح الدين. انظر : المقريزى، الخطط، جـ ٢، ص ٢٠٤، ٢٢٨. محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ ٩ ، ص ٣٦.

الأخضر فاصل بين الاصطبلات وبين سوق الخيل فى غربية ، فسيح المدى يسافر النظر فى أرجائه ، يركب السلطان من درج يلى قصر الجوانى وينزل إلى الاسطبل الخاص ، ثم إليه راكباً وخواص الأمراء فى خدمته لعرض الخيول فى أوقات الاطلاق أو خيول القادم أو المشترى ، وفى أوقات طعم الطير ، وربما وقف به راكباً وربما نزل فيه ولم ينصب عليه خيام ، وربما نصب عليه الخيام إذا طال مكثه وكان زمان حر أو برد وربما مد به السماط ثم يطلع إل قصره وبهذا الميدان من أنواع الوحش المستحسن النظر وتربط به خواص الخيول للتفسح ، وفى هذا الميدان يصلى السلطان وخواصه ومن لا يقدر يفارقه من ذوى الخدم صلاة العيدين ، ونزوله وطلوعه من باب الخاص من دهليز القصر غير هذا المعتاد النزول منه لما قدمنا ذكره .. » . [1] .

وفى سلطنة الأشرف شعبان (٧٧٨ هـ ـ ٧٨٣ هـ) تم الاهتمام بالميدان ، ففى شهرى صفر ومحرم سنة ٧٨١ قيس الميدان ووزع على كل أمير فدان فعزقوه وأصلحوا ونظفوه وعادت إليه نضارته [2] .

وفى شهرى شعبان ورمضان سنة ٧٨٣ هـ ساق الأمير جركس الخليلى اميراخور ماء النيل إلى الميدان تحت القلعة ـ عبر المجراة ـ وصب فى الحوض الذى على بابه بالرميلة فعم به النفع سكان تلك الجهات وكان له مدة لم يجر به ماء [3] .

---

(١) مسالك الأبصار، ص ٨٣، القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٣٧٧ .

(٢) المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ٣٥٥، ابن حجر العسقلانى، انباء الغمر، جـ١، ص ١٩١ .

(٣) المقريزى، نفس المصدر والجزء، ص ٤٥١، ابن حجر، نفس المصدر والجزء، ص ٢٣٨، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق٢، ص ٢٩٣ .=

كما جدد السلطان الظاهر برقوق (٧٨١ ـ ٨٠١ هـ) عمارة الميدان ونقل الطين إليه وزرعه بالقرط (البرسيم) والنجيل وغرس به النخيل كما جدد عمارة القناطر (المجراة) التى تنقل المياه إلى الميدان [١] .

كما اهتم السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢ ـ ٨٥٧ هـ) بالميدان ففى شهر صفر سنة ٨٤٣ هـ أمر بجرف جميع الأتربة بالرميلة تحت القلعة [٢]، كما أصلح السلطان الملك الأشرف قايتباى مجراة الماء الموصلة للميدان[٣] .

وكانت العمارة الكبرى للميدان فى زمن السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى (٩٠٦ ـ ٩٢٢ هـ) ففى شهر صفر ٩٠٩ هـ كان ابتداء العمل بالميدان تحت القلعة فتم تعلية أسواره ، وغطى أرضه بطمى كثيف بلغ سمكه أربعة أذرع وسوى أرضه ، ثم شرع فى بناء مقعد ومبيت بالميدان برسم المحاكمات وأنشأ فى الجهة الغربية من الميدان قصراً حافلاً ومنظرة وبحرة وغير ذلك من المبانى الفاخرة ، ثم شرع فى نقل أشجار من سائر الفواكه وأصناف الأزهار والرياحين وغير ذلك فغرست بالميدان من الجهة الغربية ، ثم أجرى إليه الماء من السواقى التى بباب القرافة وأجرى

= وقد ذكر « ابن تغرى بردى » المتوفى سنة ٨٧٤ « قلت والى الآن الحوض باق على حالة بلا ماء » النجوم الزاهرة ، جـ ١١، ص ٢١٠.

مما يدل على ان المجرى المائى كثيراً ما تعرض للاهمال وقطعت بعض أجزائه ربما بسبب الثورات المتتالية للمماليك ومحاولتهم قطع الماء عن القلعة .

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ، جـ ١٢، ص ١١٥ . ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق ٢، ص ٥٣٣ ـ ٥٣٤ .

(٢) المقريزى، السلوك، جـ ٤، ص ١١٦١ .

(٣) السخاوى، الضوء اللامع، جـ ٦، ص ٢٠٨ .

إليه الماء أيضاً من السواقى التى بحدرة البقر [1] ، ثم أنشأ قصراً على باب الميدان مطلاً على الرملة (الرميلة) وعمل ممشاة من القلعة إلى الميدان بسلالم متصلة إلى ذلك القصر ، وجعل للميدان باباً كبيراً وعليه سلسلة حديد وإلى جانبه باب صغير وعليه سلسلة حديد مثل الباب الكبير [2] .

وتم انتهاء عمارة المقعد والمبيت التى أنشأهما بالميدان بعد أربعة أشهر من بداية انشائها أى فى شهر جمادى الآخرة سنة ٩٠٩ هـ [3] .

وفى شهر شعبان سنة ٩١٢ هـ استقدم الغورى من الشام صناديق خشب تحوى أشجار بطينها ما بين تفاح شامى وكمثرى وسفرجل وقراصيا وكروم عنب وأشجاراً مزهرة ما بين ورد أبيض وسبوسان وزنبق وغير ذلك من أزهار الشام حتى احضر إليه شجرة جوز هند بطينها فغرس ذلك جميعه بالميدان تحت القلعة [4] ، « ولما كملت عمارة هذا الميدان صار من جملة متنزهات الديار المصرية وصار السلطان ينزل إليه فى كل يوم ويعمل به المواكب فى غالب الأيام ، وكان أكثر اقامته به لأجل التنزه » [5] .

---

(١) يمثل حدرة البقرة شارع المظفر حاليًا الواصل بين الميدان وشارع السيوفية وعلى ناصية قبة المظفر (أثر رقم ٢٦١).

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٤ ، ص ٥٦ .

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٤ ، ص ٦٠ .

(٤) نفسه، ص ١٠٢ . وذكر ابن إياس « هنا » ان السلطان الغورى كان مولعًا بغرس الأشجار وحب رؤية الأزهار والرياضيات وهذه الأخبار تقرب من أخبار خمارويه بن احمد بن طولون حيث أنشأ بستانًا بالقرب من جامع أبيه الذى انشاه باعلا الكبش.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٤ ، ص ١٠٢ . وقد أردف «ابن إياس» هنا فقال وقد صار هذا الميدان مثل غوطة دمشق ما بين اشجار ومياه جارية حتى عد ذلك من النوادر، وقد قلت فى المعنى :

عاينت بالميدان بستانًا زها   أشجار أو مت لنا بسلام

والزهر مختلف به ألوانـه   ولقـد يجل تراه عن نمام

وفى شهر ذى الحجة ٩١٢ هـ أبطل الغورى المجراة القديمة التى كان قد بناها الناصر . محمد ليمد الميدان والقلعة بالماء وبدأ فى بناء أخرى غيرها هى الموجودة حالياً (أثر رقم ٧٨) وجعل فمها عند موردة الحلفا وجعل هناك بئراً وجعل له مسرباً من النيل ووضع على هذه البئر سواقى نقالة ، وقد انفق أموالاً كثيرة على تلك المجراة (١) .

وكان الانتهاء من المجرى فى جمادى الآخرة سنة ٩١٤ هـ ووصل الماء إلى الميدان تحت القلعة ، وتم عمل سواقى بالميدان وبنى ثلاثة صهاريج لأجل المماليك الذين يلعبون بالرمح فى الميدان ، وعمل بحرة طولها أربعين ذراعاً فى وسط بستان الميدان وصارت تمتلئ كل يوم بماء النيل وفائضها لسقى البستان ، وبنى هناك عدة مقاعد ومناظر مطلات على البستان ، وقد استعمل الغورى فى عمل رخام تلك المبانى قاعات الأتابكى أزبك التى أنشأها بالأزبكية (٢) .

وفى سنة ٩١٥ هـ اينعت الاشجار التى غرسها السلطان بالميدان وتفتحت شتلات الأزهار بالورد والياسمين والبان والزنبق والسوسن وغير ذلك من الأزهار الشامية التى تنمو فى غوطة دمشق (٣) .

هذا وكان للسلطان دكة كبيرة مطعمة بالعاج والأبنوس ويفرش فوقها مقعد مخمل بنطع ويجلس عليه ، وتظلله فروع الياسمين ، وتقف حوله المماليك الحسان بأيديهم المذبات ينشون عليه ويعلق فى الأشجار اقفاص

---

(١) ابن إياس ، بدائع الزهور، جـ٤ ، ص ١١٠ . وعن مجرى المياه بالتفصيل، انظر: سعاد ماهر، مجرى مياه فم الخليج، «بحث منشور» فى المجلة التاريخية المصرية (المجلد السابع، ١٩٥٨م).

(٢) ابن إياس، نفس المصدر والجزء، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٣) نفسه، ص ١٧٢ .

فيها طيور مسموع ما بين هزارات ومطوق وبلابل وشحارير وقمارى وفواخت .. وغير ذلك من طيور المسموع ، ويطلق بين الأشجار دجاج حبشي وبط صينى وغير ذلك من الطيور المختلفة ، وتارة يجلس على البحرة التى طولها أربعون ذراعاً ، وتمتلئ كل يوم من ماء النيل بسواقى نقالة من المجراة تجرى ليلاً ونهاراً فيجلس على سرير هناك فى غالب أيام الجمعة ولا يدخل عليه من الأمراء أحد إلا من يختاره ، وقد وقع له من المحاسن أشياء غريبة لم تقع لغيرة من السلاطين ، وقد صار هذا الميدان جنة على وجه الأرض (١) .

وقد وصف الميدان سفير البندقية لدى السلطان الغورى فى سنة ٩١٨هـ / ١٥١٢ م ، فقال » ... وهو ميدان يمتد من أسفل الاسوار وتتم فيه تمرينات الفروسية الماهرة ، وحديقة السلطان أوسع من الميدان ، وفى وسطها على مستوى أعلى بدرجة واحدة من مستوى الأرض شرفة مشيدة على أعمدة تغطيها النباتات الخضراء معلق على جانبها وخلفها مظلات من القماش للحماية من حرارة الشمس ، وعلى كل عمود معلق قفص فيه طائر صغير يغرد ، وتمتلئ الحديقة بأشجار الرمان والكمثرى والتين والعنب والآس وغيرها من الأشجار المختلفة « (٢) .

عمارة الميدانين فى العصر العثمانى :

استمر الاهتمام بميدان الرميلة وميدان تحت القلعة قائماً فى العصر

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٤، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٢) جاستون فييت، القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة مصطفى العبادى، (كتاب اليوم، العدد ٣٠٨، مايو ١٩٩٠) ص ١٧٠ .

العثماني بحكم أهميته الاستراتيجية ، ومن ولاة مصر الذين كان لهم دور في ذلك مصطفى باشا الذى تولى على مصر سنة ١٠٣٢ هـ إلى سنة ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٣ ـ ١٦٢٦ م ، فقد عمر غيط الميدان فزرعه بعد أن كان قد اندثر وجعل فيه بئراً معيناً ، ومن العمائر التى اقامها أيضاً بالرميلة زاوية لطيفة (أثر رقم ١٥٥) غربى الميدان وكذلك أنشأ حوضاً وسبيلاً اندثرا الآن وأوقف على منشآته تلك أوقافاً كثيرة ، كما استن بالميدان سنة جديدة وهى عمل موسم ثلاثة أيام العيد بالميدان [١] .

وممن كان له اهتمام بالميدان الوالى قرة محمد باشا (١١١١ ـ ١١١٦هـ / ١٦٩٩ ـ ١٧٠٤ م) الذى جدد البستان بالميدان تحت القلعة سنة ١١١٣ هـ / ١٧٠١ م وعمره وغرس فيه الأشجار المثمرة ، ورمم قاعة الغورى التى بالبستان ، وبنى مصطبة [٢] برسم الباس القفاطين وتسليم المحمل لأمير الحج وأرباب المناصب ، وعمر أيضاً مصطبة لرمى النشاب وأنشأ حماماً بالميدان ، ومن مآثرة العظيمة أيضاً انشائه جامع بخطبة بالميدان ولا يزال موجوداً للآن ، (أثر رقم ٣٧٧) وكان من قبل عبارة عن مقام يسمى مقام الأربعين ، كما أنشأ تكية للفقراء الخلوتية ومطبخاً ودار ضيافة للفقراء وفى علوها مكتباً للأطفال [٣] ولكن تلك المنشآت مندثرة الآن .

---

(١) البكرى، الروضة المانوسة (مخطوط)، ص ٣٦ ـ ٣٧، النزهة الزهية (مخطوط)، ص ٥١، ولكن المؤرخان «أحمد شلبى عبد الغنى» و«ابن الوكيل» يذكران أن الذى قام بهذه الأعمال هو بيرم باشا (المتولى ١٠٣٥ ـ ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٦م ـ ١٦٢٨م) ولكن الصحيح ما ذكره البكرى. انظر: أحمد شلبى ، أوضح الاشارات، ص ١٤٢، ابن الوكيل، تحفه الاحباب (مخطوط)، ص ١٨٧ .

(٢) هذه المصطبة موقعة على خريطة القاهرة للآثار الإسلامية(لوحة رقم ٢) وقد زالت عقب الغاء الكسوة الحجاز بعد سنة ١٩٥٢م.

(٣) أحمد شلبى، أوضح الاشارات، ص ٢٠٦، ابن الوكيل، تحفة الاحباب، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ . الجبرتى، عجائب الآثار، جـ١، ص ٥١ ـ ٥٢ . أمين سامى، تقويم النيل، جـ٢، ص ٦٩ .

وفى عهد الخديوى اسماعيل قام « على باشا مبارك » وكان يشغل آنذاك وظيفة ناظر على القناطر الخيرية بتنظيم الميدان وأزال الكثير من المبانى العشوائية حوله وأوصله بشارع محمد على ، وتم زرع الرميلة وميدان تحت القلعة ، وظل الميدان موضع نزهة عظيمة لأهل مصر بسبب الاحتفال بخروج كسوة الكعبة من هناك [1] ، حتى تم أبطال ذلك الاحتفال الكبير بعد سنة ١٩٥٢ م .

ارتباط الميدان بالأحداث الاجتماعية :

استخدم الميدان استخدامات عديدة ، فبجانب كونه متنزهاً ملكياً وشعبياً فقد استخدم أيضاً فى صلاة العيدين ، وفيه كان يجلس الملوك والولاة للنظر فى المظالم ، وكان يتم به حفلات زواج خاصة بالسلاطين والأمراء ، وعمل المواكب السلطانية ، إلى جانب استخدام الميدان فى العاب الفروسية وخاصة لعب الكرة ، وكذلك عمل الاستعراضات البهلوانية به ، وكذلك استخدم الميدان فى النشاط الدبلوماسى حيث كان السلاطين يستقبلون فيه السفراء والرسل والضيوف ، وإلى جانب هذا ارتبط الميدان ارتباطاً مباشراً بمهرجان سنوى يعتبر من أهم الاحتفالات بمصر فى العصرين المملوكى والعثمانى وهو الاحتفال بدوران وخروج المحمل .

صلاة العيدين بالميدان :

استخدم الميدان فى صلاة العيدين فى العصر المملوكى أسوة بالسنة

---

(١) الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

الشريفة حيث تنص على اقامتها بالأرض الفضاء ، وكان السلاطين يستعرضون فى ذلك اليوم رسوم وشعائر السلطنة ، وكانوا يوزعون الخلع السلطانية على أرباب الوظائف من الأمراء واعيان الدولة وقضاتها وعلمائها ، وكانت تمد به الموائد السلطانية وتنحر الذبائح وتفرق على عامة الناس (١) مثلما كانوا يفعلون فى مستهل رمضان حيث ينزلون إلى الميدان ويفرقون اللحم والخبز والدقيق والسكر والغنم (٢) .

وظل السلاطين مداومين على صلاة الاعياد بالميدان حتى أيام السلطان الملك الظاهر برقوق حيث جعل الصلاة بجامع القلعة (٣) .

استخدام الميدان فى النظر فى المظالم :

استخدم الميدان للنظر فى المظالم فى العصر المملوكى منذ أن بنى الملك الظاهر بيبرس بحدوده دار العدل القديمة (٤) سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م

(١) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٤٦، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٢٢٩.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ١٠٣، ١٦٥.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٢٢٩، السلوك، جـ٣، ص ٨٨١، ٩٣٥، تاريخ ابن قاضى شهبة، ص ٦٦٦، تاريخ ابن الفرات، مجلد٩، جـ١، ص ١٤٢، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ١٢، ص ١٠١، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٢٩٥.

(٤) دار العدل القديمة قال عنها المقريزى « هذه الدار موضعها الآن تحت القلعة يعرف بالطبلخاناة والذى بنى دار العدل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فى سنة ٦٦١هـ وصار يجلس بها لعرض العساكر فى كل اثنين وخميس وابتدا بالحضور فى أول سنة ٦٦٢هـ.. ومابرحت دار العدل هذه باقية إلى أن استجد الملك المنصور قلاوون الأيوان فهجرت دار العدل هذه إلى أن كانت سنة ٧٢٢هـ فهدمها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمل موضعها الطبلخاناة إلى يومنا إلا أنه كان فى أيام عمارتها انما يجلس بها دائماً فى أيام الجلوس نائب دار العدل ومعه القضاة وموقع دار العدل والأمراء فينظر نائب العدل فى أمور المتظلمين وتقرأ عليه القصص وكان الأمر على ذلك أيام الظاهر بيبرس وأيام ابنه الملك السعيد بركة ثم أيام الملك المنصور قلاوون » الخطط، جـ٢، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦ .=

وكان يجلس بها يومى الاثنين الخميس من كل أسبوع (١) ، ثم تركت دار العدل هذه واستخدم بدلها الايوان بالقلعة (٢) ، الذى عرف أيضاً بدار العدل وهو من انشاء الملك المنصور قلاوون وقد جدده ابنه الاشرف خليل ثم هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون واعاد بناؤه من جديد (٣).

واستمر النظر فى المظالم من خلال الايوان حتى تركه السلطان الملك

= ولما تكلم المقريزى عن الطبلخاناة قال أنها «كانت تحت القلعة فيما بين باب السلسلة وباب المدرج». الخطط، جـ٢، ص ٢١٣.

وقد حقق الأستاذ «محمد رمزى» موضع دار العدل القديمة فقال: «وأقول ان باب السلسلة لا يزال موجوداً وعرف قديماً باب الاصطبل وباب الانكشارية وأما اليوم فيعرف بباب العزب. وأن باب المدرج لا يزال موجوداً غير مستعمل بجوار باب القلعة العمومى الذى يعرف بالباب الجديد من الداخل، ومما يذكر يتضح أن دار العدل مكانها اليوم القاعات الواقعة على يسار الداخل من باب العزب المشغولة بمخازن مهمات وملابس الجيش المصرى ويحدها من الغرب سكة المحجر، وهذا التحديد ينطبق أيضاً على مكان الطبلخاناة». انظر: محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ ٧ ، ص ١٦٣، جـ٩ ، ص ٧٤.

(١) من المواقف الهامة للسلطان الظاهر بيبرس أنه حدثت أزمة اقتصادية كبيرة وغلت الأسعار فى إحدى السنوات فأمر باجتماع الفقراء بالرميلة وجلس الظاهر بدار العدل وقرر على نفسه وعلى سائر الأمراء أن يتولوا الانفاق على هؤلاء الفقراء حتى تنتهى تلك الأزمة. انظر: المقريزى، الخطط ، جـ ٢، ص ٢٠٥ .

(٢) الإيوان: يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام عن الإيوان بقلعة الجبل (جـ٢ ص ٢٠٦) أن الإيوان المعروف بدار العدل أنشاه الملك المنصور قلاوون ثم جدده ابنه الملك الأشرف خليل بالقاعة الاشرفية واستمر جلوس نائب دار العدل به إلى أن هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم أعاد بناؤه فى سنة ٧٣٠هـ وزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام عمداً عظيمة ونصب فى صدره سرير الملك وعمل أمام الإيوان رحبة فسيحة فجاء من أعظم المبانى وكان الملوك يجلسون فيه لنظر المظالم ولذلك سمى دار العدل. وبالبحث تبين لى أن هذا الإيوان مكانه اليوم جامع محمد على باشا الكبير بقلعة القاهرة وأما الرحبة التى كانت أمامه فمكانها الحوش الواقع تجاه الوجهة البحرية الشرقية للجامع المذكور. انظر: محمد رمزى، تعليقه على النجوم ، جـ ٩ ، ص ٥١.

(٣) المقريزى، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦.

الظاهر برقوق الذى نادى الناس أن يجتمعوا بالرميلة لينظر فى مظالهم من خلال مجلسه بالاسطبل السلطانى [1] وكان ذلك سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م حيث خصص يومى الأحد والاربعاء من كل أسبوع للنظر فى المظالم ثم استبدل اليومين بيومى السبت والثلاثاء من كل أسبوع [2] .

وكان السلطان الغورى دائم النزول إلى الميدان للحكم والنظر فى المظالم فى المقعد الذى أنشأه لهذا الغرض - وإن كان الغالب فى العصر المملوكى الاستبداد بالرعية والظلم البين - ويروى لنا المؤرخ « ابن اياس » قصة شخصية حدثت له حيث أن الغورى قد صادر اقطاعه من ضمن ما صادر من اقطاعات لأولاد الناس [3] لصالح مماليكه فوقف له ابن اياس بقصة فى الميدان فرد عليه اقطاعه [4] .

المواكب السلطانية وحفلات الزواج والمناسبات الأخرى :

شهد الميدان مواكب سلطانية عظيمة ، فقد كان يتم به عمل موكب

---

(١) عن الاسطبل السلطانى، انظر ما سبق، ص ٣٢٣.

(٢) المقريزى، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧، السلوك، جـ ٣ ، ص ٥٦٦ ، ٧٠٩، ٨٤٠، تاريخ ابن قاضى شهبة، ص ٣٢٨، ابن تغرى بردى، النجوم ، جـ ١٢، ص ٠٨ ، تاريخ ابن الفرات مجلد ٩، جـ ١، ص ٢٠٣

(٣) أولاد الناس هم أبناء المماليك الذين ولدوا فى مصر ولم يمسهم الرق، وكانت مكانتهم الاجتماعية أدنى من المماليك، وغالبًا ما كان أولاد الناس هؤلاء ينصرفون عن الحياة السياسية والعسكرية التى يحيا اباؤهم فى ظلها ويختارون لانفسهم حياة الدعة والسلم، وقد يساهم بعضهم فى النشاط الثقافى لعصره، وقد برز من هؤلاء عدد كبير من المؤرخين اللامعين، منهم على سبيل المثال ابن ايبك الدوادار وخليل بن شاهين الظاهرى وصارم الدين بن دقماق وابن تغرى بردى وابن إياس وغيرهم. انظر : قاسم عبده قاسم، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى فى عصر السلاطين المماليك ، (ط. دار المعارف، جـ ٢ ، ١٩٨٣)، ص ٢٢ - ٢٣.

(٤) انظر بالتفصل : بدائع الزهور، جـ ٤ ، ص ١٣٦، ١٧٣.

كبير عقب تولية كل سلطان للمملكة [1] .

كذلك كانت تعمل به أحياناً مواكب خاصة مثلما حدث في جمادى الآخرة سنة ٧٤٧ هـ إذ أمر السلطان المظفر حاجي بعمل موكب كبير بالميدان وما حوله ، فاصطف الامراء والمماليك صفين من الصليبة إلى فوق القلعة ليرى السلطان عسكره ، فضاق الموضع ، وقد جمعت في هذا اليوم أرباب الملاهي ورتبت في عدة أماكن من القلعة إلى الميدان ، وقد أجرت البيوت والدكاكين في ذلك اليوم للمتفرجين ولم ير يوماً كهذا من الزحام والاحتفال [2] .

كذلك كان الميدان موضعاً للاحتفالات بزواج السلاطين والأمراء مثل زواج ابن الملك بيبرس على بنت الأمير سيف الدين كسرويه التترى سنة ٦٦٤ هـ وكانت أياماً مشهودة [3] ، وكذلك شهد الميدان في سنة ٦٧٢هـ عرس ابن السلطان بيبرس وهو الملك السعيد على بنت المقر السيفى قلاوون.وكان احتفالاً عظيماً [4] .

وشهد الميدان كذلك الاحتفال بزواج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، على ابنة ازبك ملك التتار يوم ١٥ ربيع الأول سنة ٧٢١ هـ ، وكان احتفالاً عظيماً فرش الميدان بالمفروشات الفاخرة ونصبت السرادقات

---

(١) انظر على سبيل المثال : ابن ايبك، كنز الدرر، جـ ٨، ص ٣٠٣، الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ١٣٠ . المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٧٥٦ ـ ٧٥٧، ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ ٣، ص ٦٢٦.

(٢) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٣) بيبرس الدوادار، التحفة الملوكية، ص ٥٦ .

(٤) ابن ايبك، كنز الدرر، جـ ٨، ص ١٩٧، المفضل بن أبى الفضائل، النهج السديد، جـ ١٤، ص ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

والمناظر ، وحضر الاحتفال رسول من ملك الكرك ورسل ملك الدولة البيزنطية وقدموا للسلطان هدايا فاخرة (١) ، وكذلك شهد الميدان زواج الملك الظاهر برقوق ١٠ ربيع الآخر سنة ٧٩٦ ببنت أخى السلطان أحمد بن أويس (٢) .

كذلك كان يتم بالميدان احتفالات فى مناسبات خاصة مثل شفاء السلاطين أو الأمراء مثلما حدث سنة ٧٤١ هـ بمناسبة شفاء الملك الناصر محمد ، إذ جلس بالميدان ، وأطلق نقط كثير واجتمعت الناس من كل جهة وقدمت عربان الشرقية بخيولها وقبابها المحمولة على الجمال ولعبوا بالرماح تحت القلعة وخرجت طوائف عديدة للعب بالميدان وكذلك أصحاب الملاهى والمغانى (٣) .

ونفس الشئ تم من قبل ، ففى شهر ربيع الآخر سنة ٧٤٠ هـ عمل سماط جليل بالميدان لعافية الأمير يلبغا اليحياوى وفيه من الاطعمة والاشربة والحلاوات مشروب السكر ما يجل وصفه ، واستدعى السلطان لحضوره جميع صوفية الخوانك والزوايا وأهل الخير وسائر الطوائف وكانت النفقة عظيمة (٤) .

العاب الفروسية بالميدان :

اشتهر سلاطين المماليك وأمرائهم بولعهم الشديد بألعاب الفروسية

---

(١) المقريزى، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(٢) ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ ١، ص ٢٥٣ .

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ١٦٢ ، المقريزى، السلوك، جـ ٢، ص ٥٢٠ ـ ٥٢١

(٤) المقريزى، السلوك، جـ ٢، ص ٤٩١ .

والصيد والرياضة على اختلاف أنواعها ، وكان ميدان الرميلة وميدان تحت القلعة مسرحاً هاماً لألعاب الفروسية على اختلاف أنواعها التى على رأسها لعب الكرة ولعب القبق واللعب بالرمح والرماية والسباق وغير ذلك .

لعب الكرة :

هذه اللعة قديمة جداً ، وكانت منتشرة فى العديد من دول العالم القديم ، ويرجح أن أصلها كان ببلاد فارس وعنها نقلها العرب [١] . وقد بلغت مكانتها درجة مرموقة فى ظل الدولة الاسلامية ، وقد تمتعت بمكانة كبيرة فى العصر الايوبى وظلت متمتعة بتلك المكانة بل زادت عليها فى العصر المملوكى ، وظلت تلعب فى مصر فى العصر العثمانى أيضاً .

وقد عرفت هذه اللعبة باسم لعب الكرة أو ضرب الكرة أو الأكرة ، والأسم الشائع لها لعبة الكرة والصولجان حيث كان يستعمل بها عصاة طويلة لها نهاية معقوفة تسمى الصولجان أو جوكان [٢] تضرب بها الكرة من على ظهور الخيل ، وهذه اللعبة تعرف حالياً باسم البولو Polo ولا تزال تحتفظ بطابعها الارستقراطى حتى الآن . (لوحة ٣٨) .

---

(١) Quatremére, Histoire Des Sultans Mamlouks de L'Egypte, Paris, (1944- 45) I, PP. 122- 124. احمد عبد الرازق، «وسائل التسلية عند المسلمين»، بحث فى كتاب دراسات فى الحضارة الإسلامية، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٥، المجلد الأول، ص ١٠٤ . ١٠٥، ولنفس المؤلف أيضا : Deux Jeus, Ds. Annales Islamologiques, XII (1974), P. 107. Mercies, La Chasse et les Sports Chez Les Arabes, Paris, 1927, P. 205 - 223.

(٢) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٤٧، جـ ٥، ص ٤٥٨، المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٤٣٥، حاشية١ .

وكان الجوكان أو المحجن عبارة عن عصاة مدهونة طولها نحو أربعة أذرع وبرأسها خشبة مخروطة محدودية (معقوفة) تزيد عن نصف ذراع ، أما الكرة فكانت تصنع من مادة خفيفة كالفلين ونحوه [١] .

وقد شغف بهذه اللعبة معظم السلاطين وأمرائهم فى العصر المملوكى فأنشأوالها الميادين ووضعوا لها نظاماً خاصاً ، وحددوا أوقات وحفلات تلعب فيها ، كما أعدوا لها ما يلزمها من خيول وأدوات وخصصوا موظفين من المماليك يشرفون عليها [٢] يسمى الواحد منهم جوكندار[٣] .

أما عن طريقة لعب الكرة فقد وصفها لنا الرحالة « طافور » الذى زار مصر فى العصر المملوكى الجركسى ورأى السلطان وأمراءه يلعبون هذه اللعبة فذكر أن الميدان الفسيح الذى لعبوا فيه كان مقسما ومخططا بخطوط بيضاء ، وعلى جانبى الميدان عدد من كبير من الفرسان المماليك بيد كل منهم عصا طويلة وفى وسط الميدان كرة ، ويكون اللعب بأن يحاول كل جانب اجتذاب الكرة إلى جانبه والذى ينجح فى ذلك تكون له الغلبة [٤] .

---

(١) سعيد عاشور، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، (نشر مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢)، ص ٧١، أحمد عبد الرازق، وسائل التسلية، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٢) سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ض ٧١.

(٣) الجوكندار، أى الذى يحمل الجوكان وكان رنكه (شارته) عصوين. وعن هذه الوظيفة انظر: حسن الباشا، الفنون والوظائف على الآثار العربية، جـ ١، ص ٣٧٢ ـ ٣٧٧، أحمد عبد الرازق، الرنوك فى عصر سلاطين المماليك، (المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢١، ١٩٧٤)، ص ٦٨ ؛ ٧١ ـ ٧٥.

(٤) رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى، ترجمة وتقديم حسن حبشى، نشر دار المعارف بمصر، ١٩٦٨، ص ٧٤، جاستون فييت، القاهرة، ص ١٧٠ .

وقد كانت المباريات تتم بأن ينقسم أمراء المماليك إلى فرقتين على رأس أحدهما السلطان والآخر اتابك العسكر (١) .

وقد جرت العادة أن يقوم المهزوم فى اللعب بعمل مهم حافل أو وليمة كبيرة وربما وصلت تكاليف هذه الوليمة إلى مائتى الف درهم نظراً لما يذبح فيها من فئات المواشى والخيول والطيور عدا الحلوى والمشروبات(٢)، وفى بعض الأحيان تحمل السلطان نفقات هذا المهم ـ رغم أنه الغالب ـ وذلك تخفيفاً على الأمير المغلوب (٣) .

ويكون موعد لعب الكرة من الظهر حتى العصر وبعدها يمد السماط ربما فى الميدان ذاته حيث تقام خيمة كبيرة وعدة صواوين ، وكان السلطان ينعم بالخلع على المشتركين فى اللعب وعلى الجوكندار واتباعه حتى بلغ ما خلعه فى يوم واحد وقت لعب الكرة ألف ومائتى تشريف(٥) .

وكان من عادة السلطان أن يخرج فى موكب لعب الكرة على الهيئة الكاملة التى كان يخرج فيها لصلاة الجمعة والعيدين فيما عدا الجتر وهى المظلة (٦) ربما دلالة الانطلاق (٧) ، وبصحبته الاوجاقيه ، وهم جماعة من المماليك استجدهم الناصر محمد سنة ٧١٨ هـ عندما أنشأ الميدان

---

(١) عبد المنعم ماجد، نظم دولة السلاطين المماليك، جـ ٢، ص ١٤٠ .

(٢) المقريزى، السلوك، جـ ٢، ص ٧٢٤، ٧٨٦، ابن تغرى بردى، النجوم ، جـ ١٠، ص ١٥٥ .

(٣) المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ٩٠٢، ابن تغرى بردى، جـ ١٢، ص ٨٠ ـ ٨١.

(٤) ابن حجر العسقلانى، أنباء الغمر، جـ ٢، ص ١٥ .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢، ص ٢٢٨.

(٦) القلقشندى، صبح الأعشى ، جـ ٤، ص ٤٧ .

(٧) عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ، جـ ٢، ص ١٤٠ .

الناصرى لخدمة الخيل واعتبروا من الرسوم الجديدة للمواكب للميدان وكان لهم زى معين وهيئة خاصة بهم [١] .

وكان لعب الكرة يعتبر فرصة مناسبة لإجراء وتصفية العلاقات المتوترة بين السلطان من جهة وبين كبار الأمراء من جهة أخرى ، أو بين كبار الأمراء المتحكمين فى الدولة فى حالة وجود سلطان ضعيف أو صغير مثلما كان السلطان برقوق يفعل حين كان أميراً كبيراً وحين كان سلطاناً[٢] .

كما أن السلطان كان يعرب عن رضاه وعفوه عن أى أمير بدعوته للعب الكرة [٣] .

كذلك كان السلاطين يدعون الضيوف والرسل والسفارات لحضور لعب الكرة كنوع من الدعاية السياسية ومظهراً حضارياً ، واظهاراً لحسن نظام المملكة ورخائها وقوتها [٤] .

لهذا حرص السلاطين على افتتاح موسم لعب الكرة ، وعلى اللعب كل سنة ليظهر بمظهر القوة والسلامة أمام الرعية [٥] ، حتى ولو كان مريضاً حتى يقال أن السلطان ضرب الكرة فى هذه السنة [٦] .

---

(١) المقريزى، الخطط ، جـ ٢، ص ٢٠٠ ، انظر بالتفصيل تعليق زيادة على السلوك، جـ ٢، ص ١٨٣ .

(٢) انظر ما يلى، ص ٣٤٠ .

(٣) على سبيل المثال انظر ما فعله السلطان بيبرس البندقدارى مع الأمير سيف الدين قلج البغدادى الذى كان معتقلاً لذا فإن بيبرس « من عليه وأذن له فى لعب الكرة معه » انظر: المقريزى، السلوك، جـ١ ، ص ٤٦٨ - ٤٦٩ . وانظر أيضا ما فعله السلطان قايتباى مع الأمير خير بك من حديد إذ دعاه إلى لعب الكرة معه بعد ان كان غاضباً عليه . انظر : ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٤) ابن إياس ، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ١٥٧ ، ٢٢٠ .

(٥) لطفى أحمد السيد، وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك فى مصر، ماجستير « غير منشورة » (قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٧) ص ٢٧٤ .

(٦) حرص قايتباى على ضرب الكرة وهو فى مرض الموت سنة ٩٠٠هـ، كذلك فعل الغورى وهو مريض سنة ٩٢٠هـ، انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣١٠، جـ٤، ص ٣٧٢ .

هذا وتحتفظ المتاحف الاسلامية بتحف عديدة مثل عليها لعب الكرة ، فعلى سبيل المثال يوجد بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة طشت من النحاس المكفت يحمل اسم الملك الصالح نجم الدين أيوب يزينه بعض الرسوم التى تشير إلى هذه اللعبة حيث نشاهد عليه منظر لفارس يمسك فى يده اليسرى بعصا طويلة ترمز إلى الجوكان داخل جامة مفصصة فوق أرضيته من الزخارف النباتية (١) .

وينسب إلى زمن الصالح أيضاً طشت من النحاس المكفت بالذهب والفضة يزينه رسوم تمثل لعبة الكرة تتألف من أربعة فرسان بأيدى كل منهما عصا طويلة تشير إلى الجوكان يقاذفون بها الكرة فى الهواء من فوق ظهور الخيل التى تبدو فى حالة ركض (٢) .

وقد حفظت لنا روائع التحف المملوكية أيضاً بعض مناظر هذه اللعبة زمن سلاطين المماليك إذ عنى بعض فنانى هذا العصر بتسجيلها فوق منتجاتهم الفنية ، مثال ذلك طشت من النحاس المكفت بالذهب والفضة باسم فاطمة ابنة الأمير سنقر الأعسر ينسب إلى أواخر القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ومحفوظ بمتحف بناكى فى أثينا يزينه زخارف متنوعة من بينها ثلاث جامات دائرية الشكل يضم كل منها نقشاً لفارس فى وضعه ثلاثية الارباع ، الأول يحمل كرة فى يده اليسرى

---

(١) Wafiyyah Izzi, An Ayyubid Basin of al Salih Najm al- Din, in Studies in Islamic Art and Architecture in the Honour of Professor K.A.C. Cresswell, Cairo, 1965, PP. 253 - 259, Fig 1, 2 , 8 , 9. احمد عبد الرازق، وسائل التسلية ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ولوحة رقم ٨ شكل ا، Deux Jeux. Plxi/ B, Fig. 5.

(٢) أحمد عبد الرازق، وسائل التسلية ، نوحة رقم ٧ شكل ب، Deux Jeux. Pixi/ A., Fig 2.

فى الوقت الذى ارتفعت فيه اليد اليمنى ممسكة بالجوكان خلف رأسه ، أما اللاعب الثانى فقد رفع العصا بيده اليمنى على حين استعد اللاعب الثالث لقذف الكرة بالمحجن (الجوكان) الذى يوجد فى يده اليسرى(١) .

ووصلنا أيضاً قارورة من الزجاج المموه بالمينا المتعددة الألوان محفوظة بمتحف الفن الإسلامى ببرلين وتنسب إلى نفس الفترة تقريباً قوام زخرفتها مجموعة من اللاعبيين فوق ظهور الخيل وقد أمسك بعضهم بمحجن طويل فى يده اليمنى وأخذ وضعة استعداد لقذف الكرة التى توجد أسفل المحجن (٢) .

كما يوجد بالمتحف الاسلامى بالقاهرة جلود كتب ايرانية ومخطوطات بها صور توضيحية واحدى هذه المخطوطات برقم ١٣٧٢٧ لديوان الشاعر حافظ الشيرازى مؤرخ بسنة ٩٣٩ هـ/ ١٥٣٢ م وباحدى الصور التوضيحية مثل منظر لعبة البولو ويظهر فيه الفرسان على ظهور جيادهم وبأيديهم عصى البولو الطويلة يحاولون بها ضرب الكرة (٣) . وهذا يبين مدى انتشار لعبة الكرة فى العصور الوسطى فى العالم الاسلامى .

هذا ويوجد ببعض العمائر بعض الرنوك الخاصة بالأمراء الذين كانوا يعملون جوكاندارية ، وكذلك يوجد بمتحف الفن الاسلامى ومخازن الآثار مئات القطع الخزفية والفخارية التى تحمل شارة (رنك) الجوكندار بالاضافة إلى التحف الزجاجية كالمشكاوات وغيرها .

(١) Mayer, Saracenic Heraladry, Oxford, 1933, Plxx` 1., Ahmad Abd al Raziq, Deux Jeux Figs, 6 - 8 , Plx111/A.

(٢) أحمد عبد الرازق، وسائل التسلية، ص ١٠٩ .

(٣) محمد مصطفى، دليل متحف الإسلامى، ص ٩٧ .

لعب الكرة بالميدان فى العصر المملوكى :

كان لعب الكرة والصولجان من رموز ورسوم السلطنة المملوكية وكان اللعب بميدان تحت القلعة أشبه بأيام الأعياد حيث يتجمع فيه الجموع الغفيرة للفرجة .

وكان يشرف على الميدان سبع قاعات كان قد أنشأها الناصر محمد لأجل زوجاته وسراريه (١) فكانت نساء السلطان والأمراء تشاهدن مباريات الكرة من خلال طاقات القاعات دون الاختلاط بالجمهور الكبير من المشاهدين (٢) .

ومنذ عمارة الناصر للميدان تداوم اللعب به طوال العصر المملوكى فقد كان الناصر محمد ينزل إليه ومعه خواص الأمراء فى خدمته ويلعب معهم الكرة ، وكان مخصصاً لذلك يومى السبت والثلاثاء من كل أسبوع (٣) ، وكثيراً ما كان يصحب معه ضيوفه والسفراء والقصاد أثناء لعبه بالميدان ويقيم لهم ولائم حافلة ويخلع عليهم الخلع الثمينة ، ومن هؤلاء الملك المؤيد صاحب حماه الذى كان يأتى سنوياً للسلطنة ليقدم التبعية للسلطنة المملوكية (٤) .

وكان السلطان الكامل شعبان (٧٤٦ - ٧٤٧هـ) يلعب بالميدان يومى الأحد والثلاثاء من كل أسبوع أما يوم السبت فكان مخصصاً للميدان الناصرى الذى على النيل (٥).

---

(١) المقريزى، الخطط ، جـ ٢، ص ٢١٢.

(٢) جاستون فييت، القاهرة مدينة الفن والتجارة، ص ١٧١.

(٣) المقريزى ، السلوك، جـ٢ ، ص ١٢٣.

(٤) نفسه، ص ١٦٦.

(٥) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ١٠، ص ١٦٤ - ١٦٥.

واستمر السلاطين من أولاد السلطان الناصر محمد وأحفاده ينزلون للعب الكرة بالميدان ، وكانوا يعقبون ذلك باقامة الولائم الحافلة ويسمحون لعامة الشعب بالفرجة والطعام ، وكانوا يتنافسون مع الأمراء فى اللعب ، ومن هؤلاء السلطان المظفر سيف الدين حاجى (٧٤٧ ـ ٧٤٨ هـ) الذى ألزم الأمير بكتمر الحجازى فى احدى المرات بعمل وليمة كبيرة لأنه غلبه فى اللعب بالكرة بالميدان فى أول محرم سنة ٧٤٨هـ، فأقامها فى سرياقوس وكانت وليمة حافلة بها جميع أنواع الملاهى (١) .

وكان السلطان الظاهر برقوي كثير النزول للميدان للعب الكرة هو وأمرائه ، وكان يقيم الولائم الحافلة التى اسعدت عامة الشعب بما يرضيهم من تنزه وفرجة وبما يفيض لهم من خيرات الطعام التى كانوا محرومين منها حيث كانت حياتهم فى تلك الأيام تعسة على كافة المقاييس ، وقد شهد الميدان أياماً حافلة طوال فترة حكم برقوق ، فقد كانت الفتن كثيرة آنذاك لذا أكثر برقوق من نزول الميدان ولعب الكرة به لأغراض سياسية حيث يقوم باسترضاء المماليك أو عمل الصلح معهم وتحليفهم الولاء له مثلما حدث يوم ١٩ صفر ٧٨٢ هـ حينما علم برقوق بأن الأمير بركة يريد الركوب عليه فأرسل برقوق القضاة والمشايخ لبركة ليسعوا بينهما بالصلح فاجتمعوا بالميدان ولعبوا الكرة واستقر الصلح (٢) .

واستمر برقوق مواظباً على اللعب بالميدان مع امرائه حتى أنه عمل تقليداً جديداً إذ أنه قرر شرب القمز (٣) يومى الاحد والثلاثاء من كل أسبوع (٤) .

---

(١) المقريزى، السلوك، جـ ٢، ص ٧٢٤ .

(٢) ابن حجر، انباء الغمر، جـ ١، ص ٢١٠ .

(٣) القمز هو شراب مسكر كان يصنع من لبن الخيل.

(٤) ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص ١٨٣، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ١١، ص ٢٥٦ .

ومن الأيام الحافلة بالميدان ما حدث يوم السبت ١٢ ذى القعدة سنة ٨٠٠ هـ إذ أن السلطان برقوق قد لعب الكرة مع الأمراء وغلب فى هذا اليوم الأمير ايتمش البجاسى فألزمه السلطان بعمل وليمة كبيرة بالميدان تحت القلعة تكلفت مائتى ألف درهم لكن السلطان دفع ثمنها وكان احتفالاً كبيراً اسهب المؤرخون فى وصفه (١) .

وكان السلطان المؤيد شيخ من أكثر السلاطين اهتماماً بالمتنزهات والاحتفالات وكان يستعرض الرماحة بالميدان (٢) .

استمر السلاطين يحتفلون بالميدان ويلعبون فيه العاب الفروسية ، وفى سلطنة الغورى (٩٠٦ - ٩٢٢ هـ) كان الميدان أهم الأمكنة له فقد كان يقضى به أغلب مواكبه وأوقاته وكان يستعرض فيه جيشه بين الحين والحين وكان يكثر من لعب الكرة به والعاب الفروسية الأخرى مثل لعب

---

(١) ذكر المؤرخون أنه نصبت خيمة كبيرة للسلطان وحولها صواوين للأمراء، وكانت فى تلك الوليمة عشرون الف رطل من اللحم الضان ومائتا زوج اوز والف طائر من الدجاج وذبحت عشرون فرساً وثلاثون قنطاراً من السكر عملت حلوى ومشروباً ومائتا مجمع حلوى ومائتا مشنة فاكهة وثلاثون قنطاراً من الزبيب لعمل المشروب المباح والمسكر وستون أردباً دقيقاً لعمل الشراب المسكر فعملت المشروبات المسكرة مثل البوزة والشنس والاقسما (نقيع من الزبيب فى دنان الفخار) وفى هذا اليوم رسم السلطان بان لا يمنع احد من عامة الشعب من دخول الميدان والاستمتاع بالفرجة فى ذلك اليوم، فلما تكاثر الناس اشار بعض الامراء على السلطان بمد السماط والطلوع للقلعة وكان ينوى أن يقضى اليوم كله بالميدان ويحضر أرباب الملاعيب من كل فن وارباب الآلات المطربة فما تم له ذلك، وانعم السلطان على بعض الأمراء، وقد ارتكبت فى هذا اليوم المعاصى الكثيرة من اباحة المحرمات والتجاهر بالفحش والمعاصى، وقد نهب العامة الطعام والشراب عقب طلوع السلطان حتى مات ثلاثة من الزحام فى ذلك اليوم. انظر: تاريخ ابن قاضى شهبة، ص ١٦٢ ، المقريزى، السلوك ، جـ ٣، ص ٩٠٢ ، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ١٢ ، ص ٨٠ - ٨١، ابن الصيرفى ، نزهة النفوس، جـ١ ، ص ٤٦٦ ، ابن إياس ، بدائع الزهور، جـ ١، ق٢، ص ٥٠١ - ٥٠٢ .

(٢) ابن حجر، انباء الغمر، جـ ٣، ص ٢٢٤ .

القبق واللعب بالرمح ورمى النشاب من على الخيل ويقيم المباريات والمنافسات الكبيرة بين مماليكه ، وكان يقيم احتفالات كبيرة ويمد الموائد الحافلة ويعزم فيها على ضيوفه وعلى رسل وقصاد الملوك والأمراء ويتم التبادل الهدايا ويدعوهم لمشاهدة مباريات مماليكه استعراضاً لقوة جيشه حتى يدركوا قدرات الجيش المملوكى وتدريبه الراقى وينقلون إلى بلادهم ما رأوه من عز وهيبة السلطنة المملوكية ، وكان الغورى يجعل بمجله وسائل التسلية فكان يحضر المطربين والموسيقيين وأصحاب الالعاب والمهرجين ، فكانت تقام فى تلك المجالس بالميدان تنافسات للحيوانات والطيور مثل سباقات الخيل والافيال وتقام مناطحات الكباش والثيران ومناقرة الديوك وغير ذلك ، وكان الغورى يسمح لعامة الناس بالاستمتاع بالفرجة والتنزة فى تلك الأيام البهيجة (١) .

كما كان الغورى ينزل إلى الميدان بالليل ويحتفل احتفالات كبيرة فيتخذ مجلسه على البحرة التى يطلق فيها الماء وينثر فيها الورد والياسمين ويفرش حولها الفرش الفاخرة ويعلق بين الأشجار القناديل والتنانير حتى يضاء البستان بالنور وكان يستضيف السفراء والرسل والضيوف فى تلك الأمسيات الجميلة (٢) .

الاستعراضات البهلوانية بالميدان :

كان الميدان ملتقى للابداع الاستعراضى والقدرات الخارقة للبهلوانيين

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٤، ص ٤٦ ، ٦٠ ، ١٠٣، ١٢٤، ١٣٠، ١٤٥، ١٥١، ١٦٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٢، ١٩٣، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٦٩، ٢٨٤، ٣٢٩، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٩١، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٣، ٤٥٥ .

(٢) نفسه، ص ٤٤٦ .

والعابهم البهلوانية التى تجمع الناس لرؤيتها بالميدان من كل حدب وصوب ، وأظهروا فيها فنوناً عجيبة أدهشت الناس وسرتهم ، وكانت تلك الأيام بمثابة الأعياد . (لوحة ٣٩) .

ومن تلك الأيام ما حدث يوم الاثنين ٢٥ ذى القعدة سنة ٨٢٨ هـ حيث لعب مملوك يدعى يشبك على حبل ممدود على الرميلة أحد طرفيه مربوط بمئذنة مدرسة السلطان حسن والطرف الآخر مربوط فوق الاشرفية[١] بالقلعة ، وهى مسافة كبيرة ، وكان السلطان برسباى وجميع الأمراء والمماليك ينظرون إليه من شبابيك القصر ومن سطوح المدرسة ، وقدم المملوك أنواعاً من فنون البهلوانيين الذين يلعبون على الحبال ورمى بالمكحلة واوتر بالقوس وهو فوق الحبل وكان يوماً مشهوداً ، وانعم عليه السلطان بمال وأركبه فرساً كامل العدة وخلع عليه خلعة بطرازين وأحسن إليه الأمراء أيضاً [٢] .

وفى ربيع الأول سنة ٨٢٩ هـ فعل نفس الشىء رجل من مسالمة الفرنج متزيى بزى الاجناد ومد الحبل من أعلى مئذنة السلطان حسن وأعلى الأشرفية من القلعة وهى مسافة رمى سهم [٣] أو يزيد على ارتفاع ما يزيد

---

(١) الأشرفية قاعة كبيرة ذكرها « المقريزى » فى خططه (جـ٢ ، ص ٢١١) باسم الأشرفية فقال : إن القصر المعروف بالأشرفية انشاه الملك الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٢هـ بالقلعة .

* ويستفاد أيضا مما ذكره المقريزى عند الكلام على الإيوان بقلعة الجبل (جـ٢ ، ص ٢٠٦) ، أن هذا القصر هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم اعاد بناءه وزاد فيه وعرف بالإيوان أو دار العدل .

* وقد حقق المرحوم « محمد رمزى » موضع الإيوان الذى حل محل الأشرفية فذكر أن مكانه اليوم جامع محمد على بالقلعة . انظر : تعليقه على النجوم ، جـ ٩ ، ص ٢٦ .

(٢) العينى ، عقد الجمان (نشر الزهراء) ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ، ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ٣ ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٣) تقدر مية السهم بخمسمائة ذراع .

على مائة ذراع ، ومشى على الحبل وأبدى فنوناً عجيبة فى مشيه فسر السلطان وأنعم عليه هو والأمراء ، وكان ما قام به هذا البهلوان قد أثار همم شباب أهل البلد من المصريين لذا فإن شاباً مصرياً قلده ودرب نفسه جيداً على ذلك وفعل نفس الألعاب بين مدرسة الظاهر برقوق ومدرسة المنصور قلاوون بين القصرين بالقاهرة وأبدى فنوناً فى المشى على الحبل واللعب عليه ، وتعجب الناس لما رأوه ، ولما وجد فى نفسه الكفاءة فعل نفس الشيء بميدان الرميلة يوم ٢٩ ربيع الأول حيث كان السلطان موجوداً وأتى الناس من جميع الأرجاء لمشاهدته ، ومد الحبل بين مدرسة السلطان حسن إلى الاشرفية بالقلعة كما فعل الرجل الأول وابدى فنوناً كثيرة فى اللعب على الحبل وكذلك استعرض استعراضات على قبة مدرسة السلطان حسن من الجرى عليها ذهاباً واياباً متحكماً فى نفسه وابدى فنوناً شهد عليها المقريزى (١) .

وكثرت المنافسة خلال تلك الأيام ، ففى يوم الثلاثاء ١١ ربيع الآخر سنة ٨٢٩ هـ ، نصب تاجر أعجمى فيما بين مئذنتى مدرسة السلطان حسن ليفعل كما فعل من تقدموه وقد قال « المقريزى » « . . . انه مشى على الحبل عدة خطوات ثم عاد من حيث ابتدأ ومشى ثانياً على قدميه إلى آخره ، وابدى عجائب منها أنه جلس على الحبل وأرخى رجليه وتناول وهو كذلك قوساً كانت على كتفه وأخرج من كنانته سهمين ورمى بهما واحداً بعد آخر ثم قام ودخل وهو قائم على الحبل فى طارة كانت معه وخرج منها وكرر دخوله فيها وخروجه منها مراراً فتارة يدخل برجليه قبل ادخاله يديه وتارة يدخل يديه قبل رجليه ثم ينزل من الحبل

---

(١) السلوك، جـ ٤ ، ص ٧١٣ . ٧١٤ .

الممدود فى حبل ارخاه وهو حال نزوله ينقلب بطناً لظهر وظهراً لبطن حتى نزل إلى أسفله ورأسه منكوسة نحو الأرض وقامته ممتدة بحيث صارت قدماه توازى السماء ورمى وهو منكوس بالقوس ثلاث سهام واحداً بعد واحد ثم صعد من أسفل الحبل المرخاه حتى قام على قدميه فوق الحبل الممدود ثم ألقى بنفسه وهو قائم إلى جهة الأرض فإذا هو قد تعلق بابهامى قدميه وصار رأسه منكوساً ثم انقلب وهو منكوس وصار رأسه على الحبل الممدود ورجلاه إلى السماء ثم انقلب فصارت قدماه على الحبل وهو قائم ثم رفع احدى رجليه ووقف فوق الحبل على رجل واحدة وهو يرفع تلك الرجل حتى ألصقها بفمه ثم ارخاها ووقف عليها ورفع الأخرى التى كان قائماً عليها حتى الصقها بفمه ثم ارخاها ووقف على قدميه منتصب القامة وخر ساجداً على الحبل حتى صار فمه عليه يشير إلى أنه يقبل الأرض بين يدى السلطان وهومستقبله ، فأنست افعاله من تقدمه »[١] .

هذا ويوجد تصويرة من مقامات الحريرى المحفوظة بالمكتبة الأهلية فى فيينا تنسب إلى مصر حوالى سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م تمثل صورة أمير فى مجلس شراب وطرب وتسلية حيث يوجد أسفل منه رسم لشخص يقوم ببعض الحركات البهلوانية مما يعطينا صورة واضحة عن بعض العاب هذا العصر[٢] (لوحة ٣٩) .

---

(١) السلوك، جـ ٤، ص ٧١٦ ـ ٧١٧ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ١٠٥ .

(٢) ايتنجهاوزن، التصوير عند العرب، ترجمة عيسى سليمان وطه التكريتى، (بغداد، ١٩٧٤)، ص ١٤٨ ـ ١٤٩، احمد عبد الرازق، وسائل التسلية عند المسلمين ، ص ١٠١ .

استضافة رسل وقصاد وسفارات الملوك والأمراء بالميدان :

استخدم الميدان فى استضافة الرسل والسفراء والقصاد من جميع أنحاء العالم فى العصر المملوكى بل أن الميدان كان مقر الاقامة الدائم لبعضهم أثناء مهامهم بمصر ، وكانوا يقيمون بمناظره أو فى مخيمات كبيرة مجهزة بما يلزمهم ، وقد استقبل هؤلاء الرسل والسفراء استقبالات رسمية على رأسها السلطان ومعه أمراء واعيان الدولة الكبار ، وكان يتم تبادل الهدايا والمكاتبات بالميدان أحياناً ، وكان سلاطين المماليك يحتفلون بهؤلاء الرسل والسفراء والقصاد احتفالات كبيرة فيقدم على شرفهم الموائد الحافلة وتقام الحفلات المهيبة .

ولما كانت دولة المماليك من الدول العظام فى العالم آنذاك فقد كان يأتيها باستمرار الرسل والقصاد من كل أقطار وامارات العالم للتبادل الدبلوماسى وحرصاً على اظهار الصداقة والمودة بينهم ولتبادل المصالح المشتركة ومن أجل تنمية التجارة العالمية التى ازدهرت ازدهاراً رائعاً فى تلك الأزمان حيث تحكمت السلطنة المملوكية فى طرق التجارة فى العصور الوسطى .

ومن هؤلاء الرسل من كان يعامل معاملة الند طبقاً لكبر دولته وعظمتها ومنهم من يأتى ليقدم فروض الواجب والطاعة ممن يتبعون دولة المماليك بصفة فعلية أو بصفة اسمية كما كان سفراء الدول والامارات الاسلامية يأتون مصر لتقديم الطاعة الروحية بصفة مصر حامية حمى الحرمين الشريفين ومقر الخلافة الاسلامية .

وقد أحسن سلاطين المماليك استقبال الرسل وكانوا يعملون بحضرتهم المواكب السلطانية بالميدان واستعراضات والعاب الفروسية ،

ويظهر المماليك فى ذلك فنوناً ادهشتهم وذلك استعراضاً لقوة دولة المماليك واظهاراً لعز السلطة وهيبتها وقدرتها وامكاناتها فى العالم آنذاك .

وعلى سبيل المثال ذكر المؤرخون فى حولياتهم الضيوف الذين انزلوا بالميدان منهم الأمير نعير أمير مكة التابع للسلطنة المملوكية فقد حضر يوم ٦ رجب سنة ٧٩١ هـ ليقدم فروض الولاء للسلطان برقوق (١) . وكذلك فى يوم الخميس ٩ جمادى الأولى ٧٩١ هـ وصل جماعة من عرب هواره إلى الديار المصرية وانزلوا بالرميلة تحت قلعة الجبل (٢) .

وفى يوم السبت ١٢ شوال سنة ٨٥٨ هـ حضر ركب المغاربة وصحبتهم هدية قيمة من صاحب المغرب السلطان اينال (٨٥٧ ـ ٨٦٥هـ) فأنزلهم بالميدان تحت القلعة وكانوا جملة كبيرة ومعهم تجارات متنوعة كالرقيق والخيول والاقمشة وغير ذلك أشياء كثيرة وقد كانت رحلة تجارية ناجحة (٣) .

وفى ٢٩ جمادى الأولى سنة ٨٦٦ هـ وصل رسول من حسن بك (أمير احدى الامارات التركية بحدود دولة المماليك بالشام) وكان معه هدايا السلطان فأكرمه السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥ ـ ٨٧٢ هـ) وأنزله بالميدان تحت القلعة (٤) .

وفى سلطنة الغورى (٩٠٦ ـ ٩٢٢ هـ) كثر توالى الرسل والقصاد

---

(١) المقريزى، السلوك، جـ ٣، ص ٧٩١.

(٢) تاريخ ابن الفرات، مجلد ٩، جـ ١، ص ٧٢ .

(٣) ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ ٢، ص ٢١٤ .

(٤) ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ ٣، ص ٤١٨ ـ ٤١٩ .

والقناصل على السلطنة وذلك لحدوث أحداث سياسية كثيرة في العالم وفي الشرق الأدنى في ذلك الوقت ، وكان الغورى ينزلهم أحياناً بالميدان تحت القلعة كما اضافهم واحتفى بهم هناك . (لوحة ٤٠) .

ونظراً لما كانت عليه الدول الثلاثة ، المملوكية والصفوية والعثمانية في زمن الغورى من منافسة على زعامة الشرق الأدنى ، وكانت العلاقات بينهم متوترة لذا فقد حرص الغورى على أن يظهر لسفراء ورسل الفرس والاتراك عظمة السلطنة المملوكية وعظمة جنودها وقوتهم وشدة بأسهم ومقدرتهم الحربية فكان يستضيفهم كلهم بالميدان ويستعرض العسكر بكامل عدتهم ويتعمد أن يلعب الكرة والصولجان مع مماليكه بالميدان ، وكان يأمر بسوق الرماحة وأن يرمو بالنشاب من على ظهور الخيل وهم بآلة السلاح وأن يلعبوا بالقبق وبالقسى كفريقين متخاصمين يتبارون بالرماح ويظهرون الفنون الغربية التى تدهش الرسل كما ذكر ابن اياس[١]، وتجعلهم يتعجبون من ذلك غاية التعجب [٢] ، ويذكر « ابن اياس » أيضاً أن الغورى قصد سوق الرماحة أمام قاصد ابن عثمان أو قاصد الصوفى عمداً» حتى يريه فروسية عسكر مصر فكان ذلك عين الصواب »[٣].

كما كان الغورى يريد أن يظهر لهم عظمة الدولة وغناها وحسن نظامها فكان يستضيف الرسل ويقيم لهم احتفالات كبيرة واحراقات نفط هائلة في الميدان في وسط البستان وعلى البحرة التى به، وكان يخلع

---

(١) بدائع الزهور، جـ ٤، ص ٢٦٨ .

(٢) نفسه، ص ٢٣٠ .

(٣) نفسه، ص ٣٩١ .

عليهم الخلع السنية ويهديهم الهدايا الغالية ، وكان يحضر الاحتفالات الجم الغفير من الناس يأتون من جميع الانحاء ، وقد فعل الغورى ذلك بالميدان مع رسل الشاه اسماعيل الصفوى فى يوم ٢٧ شعبان سنة ٩١٣ هـ ، وفى يوم ٢٨ ربيع الأول سنة ٩١٧ هـ ، وفى يوم ٥ ربيع الآخر ٩١٧ هـ ، ويوم ١٩ ربيع الآخر سنة ٩١٧ هـ ، ويوم ٢٧ ربيع الآخر ٩١٨ هـ(١) .

وفعل ذلك أيضاً مع رسل العثمانيين فى جمادى الآخره سنة ٩٠٨ هـ، ويوم٩ جمادى الأولى سنة ٩١٥ هـ ، ويوم ٢٥ ربيع الأول سنة ٩٢٠ هـ ويوم ٦ رجب ٩٢٠ هـ(٢) .

ومن ضيوف مصر أيضاً قاصد ملك الكرج (جمهورية جورجيا حالياً) الذى استضافة بالميدان ومد له سماطاً بالبحرة واخلع عليه وكان ذلك يوم ٢٦ ربيع الآخر ٩١٨ (٣) ، وكذلك فى يوم الخميس ٢ رمضان ٩١٨ حضر إلى القاهرة قاصد من عند ملك الهند وبصحبته فيلان عظيما الخلقة واهتزت لهما القاهرة واستقبله السلطان الغورى بالميدان واحتفى به، وأجرى سباق بين الفيلين فى الميدان بحضرته وكان يوماً مشهوداً جللاً(٤) .

هذا وقد استقبل الغورى بالميدان العديد من سفارات الملوك ومن الطريف أنه فى شهر ربيع الآخر سنة ٩٢٠ هـ حضر إلى الغورى أربعة عشر رسولاً وقاصداً من أربع عشرة مملكة غير ما حضر إليه من نوابه بمصر والشام وقد اضاف بعضهم فى الميدان(٥) .

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ١٢٤، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٦٨.

(٢) نفسه، ص ٤٦، ١٦٠، ٣٧٣، ٣٩١.

(٣) نفسه، ص ٢٦٨.

(٤) نفسه، ص ٢٨٤.

(٥) نفسه، ٢٦٩.

ومن ضيوف الغورى الذين استضافهم بالميدان وأحسن اليهم كثيراً أمير مكة الشريف بركات الذى أقام له احتفالين كبيرين بالميدان فى يوم ٢٥ صفر سنة ٩٢١ هـ ويوم ١٠ رجب ٩٢١ هـ [١] .

وفى العصر العثمانى لم يرد سوى شذرات عن استضافة الضيوف فى البستان بالميدان [٢] .

أما الاحتفال المحلى الذى كان وليد العصر المملوكى وكان الاحتفال به كبيراً فهو مولد الشيخ إسماعيل الامبابى الذى ابتكره الناس ليضفوا أياماً سعيدة فى حياتهم البائسة آنذاك وظل الاحتفال معمولاً به إلى الآن وعلى درجة كبيرة من الاهتمام الشعبى .

وقد كان نهر النيل وشاطئيه مسرحاً لكثير من هذه الاعياد إلى جانب المتنزهات الأخرى مثل المطرية التى كانت مسرحاً للاحتفال بعيد الزيتونه .

(أ) الاحتفال بدوران المحمل وخروجه :

من المهرجانات الكبيرة التى ارتبطت المتنزهات فى العصرين المملوكى والعثمانى الاحتفال بدوران وخروج المحمل الذى يحمل كسوة الكعبة المشرفة [٣] ، فقد شهد ميدان الرميلة الجانب الهام فى هذا المهرجان الضخم زمن المماليك والعثمانيين بل وفى زمن أسرة محمد على .

---

(١) نفسه، ص ٤٤٥، ٤٤٦.

(٢) الجبرتى، عجائب الآثار، جـ ١، ص ٥٧.

(٣) كانت الكعبة تكسى من أيام الجاهلية واستمرت تكسى بعد الإسلام وقد حرص خلفاء الدول الإسلامية المتعاقبة من أمويين وعباسيين وفاطميين على كسوتها، حين سقطت الخلافة العباسية فى بغداد تولى سلاطين المماليك كسوتها.=

وهذا الاحتفال من المواسم الاسلامية الجليلة القدر ، وقد عد واحد من المحاسن والفضائل التى اختصت بها مصر وأهلها وما شاركها فيه غيرها (١) .

وهذا المهرجان كان وليد العصر المملوكى ، وقد ولد عملاقاً ، زاهى ورائع الملامح وقد عاش المصريون أيامه أحلى أيام ، واستمر موفور القدر عظيم البهاء طوال العصرين المملوكى والعثمانى وعصر أسرة محمد على كلها حتى الغى الاحتفال فى منتصف هذا القرن تقريباً ، وأول من استحدث الاحتفال بدوران المحمل هذا هو السلطان الملك الظاهر بيبرس حيث ذكر « المقريزى » أن ذلك كان لأول مرة سنة ٦٥٧ هـ (٢) .

= وقد اختلفت هذه الكسوة فى قماشها ولونها وصنعتها من وقت لآخر إلا ان الغالب عليها زمن المماليك والعثمانيين هى صنعها من الحرير الاسود المرقوم بالحرير الابيض ثم صارت الكتابة باللون الأصفر المشعر بالذهب .

وقد تعددت أماكن شغل هذه الكسوة فى مصر طوال عصورها ومنها دار الطراز بالاسكندرية وتنيس ودمياط والفرما والقاهرة حيث تعددت اماكن الكسوة بها مثل دار الكسوة بالخرنفش ودار كسوتها بالقلعة حيث استمرت فترة طويلة تعمل بالقصر الابلق الذى انشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى القلعة، وكانت تطرز فى العصر العثمانى فى المشهد الحسينى . وكانت للكسوة إدارة لصنعها تسمى نظر الكسوة يشرف عليها ناظر الكسوة . وعن كسوة الكعبة بالتفصيل، انظر : يوسف أحمد ، المحمل والحج ، (ط القاهرة، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م) جـ١ص ٢٣٢، ٢٨٥، Jomier, La Mahmal et la Caravane Egyptienne des Pèlerins De la Mecque Xiii - Xx Siècles, Paris 1953, Demombynes, le Voile de la Ka'ba. Paris, 1954.

(٢) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ١٩٩ .

(٣) الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٥، ص ١١ ، السلوك، جـ١ ، ص ٥٤٤ . ، ولكن « السيوطى » ذكر ان ذلك تم لأول مرة سنة ٦٧٥هـ . انظر : حسن المحاضرة، جـ٢ ، ص ٢٩٦ ، ابن كثيرة، البداية والنهاية، جـ١٣ ، ص ٢٧١ ، أما « ابن تغرى بردى » فذكر ان ذلك تم لأول مرة أيام المنصور قلاوون فى سنة ٦٨١هـ، انظر : النجوم الزاهرة، جـ ٧ ، ص ٣١١، ولكن الارجح رواية المقريزى .

وقد كان الاحتفال من أجل الاحتفالات التى ينتظرها الناس وكان يتم مرتين كل عام ، الأولى فى نصف رجب والثانية فى شوال ، فأما الذى يتم فى رجب فيسمى دوران المحمل الرجبى (١) حيث كان ينادى فى مصر والقاهرة ثلاثة أيام أعلاماً عن خروج المحمل والغرض من ذلك النداء هو أعلام الناس بأن طريق الحج من مصر إلى الحجاز آمن وعلى كل من نوى الحج أن يهيأ نفسه لتأديه الفريضة فلا يتأخر ولا يتخوف من الطريق(٢) ، وعند ذلك « تهيج العزمات وتنبعث الاشواق وتتجرك البواعث ويلقى الله تعالى العزيمة على الحج فى قلب من يشاء من عباده فيأخذون فى التأهب لذلك الاستعداد «على حد قول » ابن بطوطة » (٣) وفى الرابع النداء وغالباً ما يكون يوم اثنين أو خميس يدور الموكب (٤) .

وفى تلك الأيام الثلاثة التى تسبق يوم الموكب يزين الناس حوانيتهم ودورهم (٥) ، وفى الليلة المحددة للاحتفال يحرق النفط وتطلق الصواريخ(٦) ، فيخرج الناس من كل مكان للفرجة ويتغالون فى اكتراء البيوت والحوانيت التى بطرق الموكب مغالاة كبيرة (٧) ، وربما قضوا ليلتهم فى الطريق حتى النساء يبتن فى الحوانيت ينتظرن المحمل من الغد(٨)، ويزين أصحاب الحوانيت والاسواق حوانيتهم بشقق الحرير والحلى (٩) .

---

(١) المقريزى، السلوك، جـ ٣، ص ٢٧٢.

(٢) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ ٤ ، ص ٥٧ ـ ٥٨ ، ابن حجر، انباء الغمر، جـ٢، ص ٤٥٠، السخاوى، التبر المسبوك، ص ٩٥.

(٣) الرحلة، ص ٣٨.

(٤) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤،ص ٥٧.

(٥) ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ٣، ص ٥٣٨.

(٦) ابن إياس، صفحات لم تنشر، ص ١٧٣.

(٧) ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ٣، ص ١٨٠.

(٨) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٤٢٠.

(٩) ابن الحاج، المدخل، جـ١، ص ٢٧٢.

وكانت هيئة المحمل عبارة عن هودج (خركاة) له قبة مطلية بالفضة ومغطى بالحرير اللامع الاصفر (أطلس) فيوضع فوق جمل على هيئة لطيفة مغطى بالحرير ، وهذه الكسوة تتكون من كسوة الكعبة المشرفة وكسوة مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام وستر ضريح الحجرة النبوية الشريفة ، وكانت تلك الكسوات من الحرير النفيس المطرز بالذهب والقصب [١] . (لوحة ٤٧) .

وكان الموكب يتقدمه الأمير المعين للسفر للحجاز والوزير وقضاة المذاهب الإسلامية السنية الأربعة ونوابهم من الشهود واعيان الدولة والمحتسب ووكيل بيت المال وناظر الكسوة ويركب معهم اعلام الفقهاء ، وأمناء الرؤساء وسائر فرق الفقراء (الطرق الصوفية) وغيرهم كثيرون ، وأمام هذا الموكب تركض كوكبه من فرسان المماليك بملابس الميدان الزاهية وهم يستعرضون مهاراتهم فى اللعب بالرماح ، وفى الموكب مجموعة من صغار المماليك يقومون بأداء بعض الألعاب البهلوانية بالرماح وهم وقوف على ظهور الخيل ، وكان يتقدم الموكب الحداة والمغنون ، وتختلط أصوات الجماهير الصاخبة بدقات الطبول والموسيقى النحاسية[٢] .

وكان الموكب يبدأ من باب النصر ويخترق القاهرة حيث يتهادى فى قصبتها التى كانت تتزين فيها الحوانيت والأسواق والبيوت بالزينات المختلفة وتفرش الأرض بشقق الحرير والحلى وتقاد القناديل والشموع ،

---

(١) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ ٤، ص ٥٧ .

(٢) ابن بطوطة ، الرحلة، ص ٣٨، ابن شاهين زبدة كشف الممالك (ط باريس ١٨٩١)، ص ٩٢، المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ١٥، ٤٢٤ .

ويخرج الناس من كل مكان للفرجة [١] ويصل الموكب إلى ميدان الرميلة الذى كان يعج بالجماهير الغفيرة رجالاً ونساءاً واطفالاً يأتون من كل أنحاء مصر والقاهرة حتى يمتلأ الميدان بهم ، ويكون السلطان جالساً بالميدان أمام باب السلسلة حيث يلعب المماليك بالرماح ويظهرون فنوناً عجيبة فى ذلك ، ويحرق بالميدان حينئذ أحراقات نفط هائلة وتطلق الصواريخ ، ثم يتجه الموكب بعد ذلك إلى مصر العتيقة التى تكون مزينة هى الأخرى كذلك ثم يعود الموكب إلى القاهرة [٢] وفى أيام السلطان الملك المؤيد شيخ جعل الموكب يدور أيضاً ببولاق ولم يقع مثل ذلك من قبله [٣] .

واستمر الاحتفال بدوران المحمل يزداد اهتماماً ، وكان المماليك الذين يلعبون بالرمح يغيرون طريقة لعبهم واجادتهم فى كل سنة حتى وصلت إلى درجة كبيرة من الاتقان [٤] وكان عدد المماليك الرماحة اربعين مملوكاً، ولهم أمير (معلم) يعاونه أربعة باشات ، وكان الرماحة يرتدون ملابس حمراء تميزهم ، وكانوا يسوقون أمام السلطان ويظهرون مهاراتهم العجيبة أمامه فينعم عليهم السلطان بالخلع السنية [٥] .

ومن السلاطين الذين بالغوا في الاحتفال الناصر محمد وأولاده والظاهر برقوق والمؤيد شيخ والظاهر خشقدم الذى كان يصرف أموالاً

---

(١) ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ٣، ص ١٨٠ ، ٥٣٨ ، ابن إياس، صفحات لم تنشر، ص ١٧٣ .

(٢) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٤ ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٤ ، ص ٨٧ .

(٤) نفسه، جـ ٧ ، ص ٣١١ - ٣١٢ .

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤ ، ص ١٦٧ .

جمة ويحرق بالرميلة النفوط الهائلة ، وكانت الناس تصرف فى تلك الأيام أموالاً كثيرة ونعمل الاسمطة والمدات الحافلة بسبب سوق الرماحة[1] .

إلا أن الاحتفال بالمحمل وسوق الرماحة قد أبطل سنة ٨٧٢ هـ على يد السلطان الملك الاشرف قايتباى الذى أبطل عدة شعائر من شعائر السلطنة[2] حتى قرر السلطان الغورى اعادة تلك العادة القديمة فى جمادى الأولى ٩٠٩هـ بعد ما كاد هذا الفن أن ينسى ، لذا اراد السلطان الغورى أن يجدد هذا الفن يصير له التدكار بين الملوك بتجديده فعين الأمير تنم الحسنى المعروف بالزرد كاش معلماً للرماحة وعين معه أربعة باشات وأربعين مملوكاً على جارى العادة القديمة وفى يوم الخميس ٨رجب ٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م نادى السلطان فى القاهرة بالزينة بسبب دوران المحمل لذلك شهد ميدان الرميلة احتفالاً كبيراً يوم الاثنين ١٢ رجب اذ بات السلطان بالقصر بالميدان وأحرق تلك الليلة أحراقه نفط بالرميلة وكانت ليلة مشهودة ورأت الناس أشياء قد نسيت ، فلما كان يوم الاثنين جلس السلطان فى الخرجاه (الشرفة) المطلة على الرملة وساقوا الرماحة قدام الرملة ثم طافوا بالكسوة الشريفة والمحمل على العادة مرتين أول النهار وبعد الظهر كما كان يفعل من قبل ولهذا أتى الناس إلى الميدان أفواجاً من كل مكان للتفرج وصنف العوام رقصة وهم يقولون :

بيع اللحاف والطراحه	حتى أرى ذى الرماحة
بيع لى لحافى ذى المحمل	حتى أرى شكل المحمل

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٤٥٦ .

(٢) نفسه، جـ ٣، ص ٨٣٣٠

وخرجت الناس فى القصف والفرجة عن الحد ، وخلع السلطان على أمير وباشات الرماحة الأمير تنم معلم الرماحة اطلسين واخلع على الباشات الأربعة كوامل بصمور وانقضى أمر المحمل فعد ذلك من محاسن الغورى حيث فرج الناس على أشياء قد نسيت فجددها حتى يصير له بذلك تذكار بين الملوك بعدما نسى هذا الأمر (١) ، واستمر السلطان الغورى يحتفل كل عام بدوران المحمل احتفالاً كبيراً وكان يجتمع بالميدان الجم الغفير من الناس بسبب الفرجة (٢) .

على أن الاحتفال بدوران المحمل لم يخل من مفاسد كثيرة شأنه فى ذلك شأن كثير من الاحتفالات العامة فى العصر المملوكى فكانت بعض المماليك ينتهزون فرصة ازدحام الطرقات بالمارة وينبثون وسطهم يخطفون عمائمهم ويصفعونهم على اقفيتهم ويحرقون لحاهم وربما تعدى الأمر إلى خطف النساء والصبيان (٣) .

ومن الأمور الشنيعة التى عملها بعض المماليك ما عرف باسم « عفاريت المحمل » وهم « جماعة من أوباشٍ المماليك السلطانية » يغيرون لباسهم بزى مضحك بشع ويركبون خيولاً فى هيئة مزعجة ويأخذون فى ازعاج الناس ، وقد أستن هذه البدعة بعض العوام وظرفاء القوم بقصد اضحاك الناس دون التعرض لهم أو أيذائهم فلما اختص بها المماليك ساءوا فهمها (٤) فصاروا يدخلون دور الأمراء والناس والحوانيت التجار

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٥٩ - ٦١.

(٢) نفسه، ص ٧٢، ١٤٥، ١٦٧، ٢٤٩، ٣٤٢.

(٣) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٨٠٠ - ٨٠١ ، ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٣، ص ٣٨٠، ٣٨١، ٣٩٩ - ٤٠٠.

(٤) بن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ٣، ص ٥٣٨ ، سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص ١٨٣.

ويفرضون عليهم وعلى المارة مبالغ معينة يحيونها ومن يمتنع منهم أذوه وانزلوا به ضرراً بالغاً حتى صار الناس يترقبون فراغ المحمل ليستريحوا من هذه الأنواع القبيحة [1] ، وقد أعتاد عفاريت المحمل - بعد أن صاروا من المماليك - أن يشنوا غاراتهم على الناس قبل دوران المحمل بيوم أو يومين غالباً ولكنهم بعد ذلك أصبحوا يبكرون فى القيام بحملاتهم قبل دوران المحمل بأيام ليطول تحكمهم فى الناس [2] .

أما عن خروج المحمل للحجاز فقد كان يتم بعد عيد الفطر بأيام ، ويدور المحمل فى احتفال كبير مثلما يحدث فى رجب إلا أنه بعد وصوله القلعة لا يتوجه إلى الفسطاط وإنما يعود إلى باب النصر ويخرج منه إلى الريدانية فبركة الحج ثم إلى الحجاز [3] . (لوحة) .

ويكون على رأس الركب المسافر للحجاز بصحبة المحمل أمير الحج يعينه السلطان وصحبته بعض الكبراء الذين يطلق عليهم باشات المحمل ويتبعهم جمع كثير من الحجاج والجمال التى تحملهم وتحمل أمتعتهم ومعهم الادلاء والأطباء والكحالون والمجبرون والأئمة والمؤذنون والقاضى والشهود والدواوين والمغسلون للموتى [4] .

الاحتفال فى العصر العثمانى :

استمر الاحتفال بدوران المحمل وخروجه فى العصر العثمانى مثلما كان

---

(١) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة، جـ ٧ ، ص ٥٠٧ - ٥٠٨ .

(٢) المقريزى، السلوك، جـ٤ ، ص ٩٦٣ ، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٧، ص ١٠٨ ، حوادث الدهور، جـ ٢، ص ٣١٦، جـ٣، ص ٢٣٨، ٥٣٩ .

(٣) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٤، ص ٥٨ . (٤) نفسه، ص ٢٧٦ .

فى العصر المملوكى ان لم يكن أكثر ، ومن الميزات التى صاحبت الاحتفال فى العصر العثمانى هى ازدياد أهمية ومكانة أمير الحج بحيث صار ذلك المنصب ميداناً للتنازع بين أكبر الفرق العثمانية (١) ، ومن السمات الأخرى للاحتفال هى الغاء دوران المحمل فى رجب ودورانه فى نصف شوال ويعقبه بأيام خروجه (٢) .

وقد سجل لنا « ابن اياس « السنوات الأولى للاحتفال حيث كان ملك الأمراء » خاير بك » يجلس بالميدان ، وتعرض عليه كسوة الكعبة المشرفة ويقام احتفال كبير وقد وصف « ابن اياس » تلك الأيام بأنها « أيام مشهودة » (٣) .

وكان الاحتفال بقية العصر العثمانى يتم فى النصف الثانى من شوال فى يومين الأول يوم ١٥ شوال وهو يوم عرض الكسوة ، والثانى يوم ٢١ شوال وهو يوم خروج المحمل ، فقبل يوم ١٥ شوال بأيام يعلن عن الاحتفال والمناداة الراغبين فى الحج بتجهيز انفسهم لذا يستعد الناس جميعاً وتزين الطرقات والدور بطريق الموكب ، وفى اليوم المذكور يؤتى بكسوة الكعبة من دار صناعتها وهى من الحرير المحلى بالذهب وتكون محمولة داخل المحمل الذى هو عبارة عن قبة خشبية ذات خرط متقن وشبابيك ملونة ، والمحمل محمول على جمل مزين أحسن زينة

---

(١) ليلى عبد اللطيف، تحقيقها لكتاب حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج للشيخ أحمد الرشيدى، (نشر مكتبة الخانجى، ١٩٨٠م)، ص ٥٥.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٥ ، ص ٢١٨ ، ليلى عبد اللطيف، المصدر السابق، ص ٧٢، رحلة العياشى، تحقيق نجاة صلاح الدين، ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧١م، ص ١٨٠ ، رحلة الفاسى، مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٠٣ تاريخ تيمور.

(٣) بدائع الزهور، جـ ٥ ، ص ٢١٨، ٢١٩، ٢٨٠، ٣١٧، ٣٥٥، ٤٠٧، ٤٧٦، ٤٧٧.

ويصاحب الموكب الجنود بملابسهم الزاهية والفرق الموسيقية ، وقد اصطفت الناس على جانبى طريق الموكب حتى يصل إلى ميدان الرميلة ، وفى الميدان يجلس الباشا فى خيمة كبيرة ويجلس حوله الصناجق كلهم والولاة والأمراء والحكام حسب ترتيبهم ويكون على يمين الباشا مباشرة القاضى ، وقد وقفت الفرق العسكرية كلها فوق خيولها وتنتشر بالميدان فى ترتيب معلوم ، ويعرض المحمل بكسوته على الباشا فيخلع على الصناع، وبعد ذلك يذهب موكب المحمل إلى المشهد الحسينى حيث تنشر الكسوة فى صحن المسجد وتخاط هناك (١) .

أما عن يوم خروج المحمل فكان يوم ٢١ شوال حيث يكون الاحتفال والموكب اتم وأعظم من الأول فيؤتى بالكسوة من المشهد الحسينى بعد أن تكون قد جهزت على احسن حال ويصاحب الموكب فرسان الاوجاقات (الفرق) فى ملابسهم الزاهية ومعداتهم واسلحتهم البراقة تصاحبها الفرق الموسيقية ، ولما يصل الموكب إلى ميدان الرميلة يكون الباشا جالساً فى مثل مجلسه السابق ، وتعرض الكسوة أمامه فيسلم المحمل وركب الحاج إلى أمير الحاج بما يلزمه من حراسة ومؤن وزاد وعتاد وأدوات وأطباء وكل ما يلزم الرحلة ، ويعمل محضر بذلك ويرسل إلى السلطان ، ويكون مجتمعاً بالميدان يومئذ آلاف الناس الآتيين من أطراف البلد كلها، ويعج الميدان يومئذ بالفرسان الذين يلعبون على خيولهم ، وأصحاب المهارات من الحواة ومروضى الحيوانات ولاعبى الاكروبات فى احتفال مهيب .

---

(١) رحلة العياشى، تحقيق نجاة صلاح الدين، ص ١٨٠ - ١٨١ .

ويخرج الموكب تصاحبه جميع طوائف الحرفيين والمهنيين والصناع يرأسهم شيوخهم ، وكذلك جميع طوائف الطرق الصوفية بشيوخهم فيمرون جميعاً أمام الباشا فى مجلسه بالميدان فيعطيهم ما تيسر ، وتقام بالميدان فى تلك الاحتفالات الأسواق العديدة لتبيع ما يلزم الحجاج والمتفرجين .

ويخترق الموكب شوارع القاهرة المزينة أحسن زينة وينتشر على جانبى الطريق وفوق المبانى الآلاف الذين يأتون من كل مكان للفرجة على الموكب أن الدور كانت تؤجر فى هذا اليوم للفرجة على الموكب ، ويتهادى الموكب حتى يصل إلى باب النصر ثم إلى العادلية .

وفى العادلية عند قبة طومان باى أثر رقم ٢ بالعباسية حالياً) يبقى الموكب إلى يوم ٢٣ شوال ثم يتجه ركب الحاج إلى بركة الحاج ومنها يتابع الحجاج طريقهم للحجاز (١) .

واستمر الاحتفال بخروج المحمل على ابدع ما يكون طوال العصر العثمانى ، وكذلك فى عهد أسرة محمد على حتى تم الغاءه فى منتصف هذا القرن وسبحان من له الدوام .

الأهمية الاستراتيجية للميدان وارتباطه بالاحداث السياسة :

تمتع الميدان بموقع استراتيجى خطير لأنه مدخل وواجهة القلعة مقر الحكم ، وفيه كان يتم استعراض الجيوش بصفة دائمة سواء وقت السلم أو

---

(١) رحلة العياشى، تحقيق نجاة صلاح الدين ص ١٨٤ - ١٨٨ .

* وانظر بالتفصيل وصف العياشى لموكب عرض الكسوة وخروجها الملحق رقم

* وقد نقل الفاسى نفس الوصف عن العياشى فى رحلته المخطوطة بدار الكتب برقم ١٤٠٣ تاريخ تيمور .

وقت الحرب ، وكان الميدان ميداناً للتدريب والمناورات وتم فى ربوعه إعداد الجيوش الخارجه للغزو والدفاع عن الدولة ، وقد كان يسع عشرة الآف من الجنود [١] .

وكان الميدان مسرحاً لأهم الأحداث السياسية فى تاريخ المماليك والعثمانيين فقد شهدت ربوعه معارك وثورات وفتناً وانقلابات واحتجاجات ومؤمرات بصفة تكاد تكون دائمة فى دولتى المماليك والعثمانيين . من تلك الأحداث الفتنة التى جرت بالميدان فى سنة ٦٦٣هـ عقب اغتيال الملك الاشرف خليل بين طوائف المماليك بقيادة الأمير كتبغا والأمير سنجر الشجاعى [٢] . وكذلك اجتماع الامراء بسوق الخيل بالميدان يوم السبت ١٣ شوال ٧٠٨ هـ لتقرير سلطان بمصر [٣] ، وحينما قبض على ناظر الخاص المستبد النشو يوم الاثنين ٢ صفر ٧٤٠ هـ ، غلقت أسواق القاهرة ومصر واجتمع الناس بالرميلة تحت القلعة ومعهم النساء والأطفال وقد اشعلوا الشموع ورفعوا على رؤوسهم المصاحف ونشروا الاعلام وهم يضجون ويصيحون استبشاراً وفرحاً بالقبض على النشو الذى طالما اذاقهم من المظالم أنواعاً [٤] .

ومن الأحداث السياسية الهامة التى شهدها الميدان الفتنة والمعارك التى قادها الأتابكى قوصون ضد السلطان المنصور أبو بكر بن الناصر محمد

---

(١) ابن إياس ، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٤٦٦ ، جـ٥، ص ٢١ ، ١٨٧ ، ٣٧٣، ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١ ، ص ٣٨٣ .

(٢) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٨، ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) ابن دقماق، الجوهر الثمين، جـ٢ ، ص١٣٩ .

(٤) المقريزى، السلوك، جـ٢ ، ص ٤٧٩ .

سنة ٧٤٢ هـ والتى انتهت بقتل السلطان المنصور أبو بكر ولم يستمر حكمه أكثر من ثلاثة أشهر وتولية أخوه علاء الدين كجك [١] .

ولكن الأمير ايدغمش اميراخور كبير تنازع مع الاتابكى قوصون وشهد الميدان بعض المعارك بين فريقهما فى رمضان ٧٤٢ هـ ، واجتمعت الأمراء والمقدمين والمماليك بالميدان تحت القلعة وحلفوا للناصر أحمد بن الناصر محمد واستمر التحليف ثلاثة أيام حتى تكامل الفى واحد فى يوم الأحد ١١ رمضان ٧٤٢ هـ وتم القبض على الأتابكى قوصون وسجن وتولى الناصر أحمد السلطنة ، ولما انتهت الفتنة فرحت الناس كلها وبقوا فى الميدان تحت القلعة اعدادا كثيرة واحتفلوا بذلك احتفالاً كبيراً وعملوا الأغانى والملاهى واقاموا الزينات [٢] .

وقد شهد الميدان بعض الفتن أيام السلطان الاشرف شعبان (٧٦٤ ـ ٧٧٨ هـ) [٣] ، وفى سلطنة ابنه علاء الدين على (٧٧٨ ـ ٧٨٣ هـ) منها الفتنة التى حدثت فى شهر صفر سنة ٧٨٢ هـ بين الاتابكى برقوق حينئذ وبين الأمير بركة أمير مجلس ، ولما كانت الغلبة لفريق بركة أرسل برقوق القضاة والمشايخ إلى بركة فسعوا بينهما بالصلح ونودى بالامان واجتمعت الامراء فى الميدان يوم ١٩ صفر واستقر الصلح ولعبوا الكرة معاً [٤] .

---

(١) الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ١٨٣، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٤٨٨، ٤٨٩ .

(٢) الشجاعى، نفس المصدر، ص ١٩٨ - ٢٠٢، ابن إياس، نفس المصدر، جـ١، ق١، ص ٤٩٣، ٤٩٤ .

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٢٦ .

(٤) ابن حجر، انباء الغمر، جـ١، ص ٢١٠، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٢٥٥، المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ٣٧٧، ٣٧٨ .

وفى مستهل رجب سنة ٧٨٥ هـ دبرت مؤامرة ضد السلطان برقوق (٧٨٤ ـ ٨٠١ هـ) ، وكان مسرح المؤامرة ميدان الرميلة إذا نزل يوم السبت للعب الكرة والصولجان ولكن المؤامرة فشلت وقبض على بعض زعمائها من الأمراء وأعدم بعضهم (١) .

وفى يوم الأحد ٥ صفر ٧٩١ هـ جمع السلطان الأمراء والخاصكية بالميدان تحت القلعة وشرب معهم القمز (وهو شراب مسكر من لبن الخيل) وقرر شربه معهم يومى الأحد والأربعاء ليطيب خواطرهم ويكسب رضاهم لعلمه بخروج الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب عليه وكذلك كرر نفس الشىء يوم ١٩ صفر ونصب بالميدان تحت القلعة خياماً وحلف الأمراء وسائر المماليك له وختم ذلك بوليمة عظيمة خوفا من الأمير يلبغا (٢) .

ولما كانت مدرسة السلطان حسن مسرحاً للأعمال العسكرية ، فقد أصدر السلطان برقوق يوم الاثنين ٨ صفر ٧٩٣ هـ مرسوماً بهدم سلالم المدرسة وسد بابها وأن يفتح لها باب من شباك من الشبابيك المطلة على الرميلة مقابل باب السلسلة (٣) .

وفى ربيع الآخر سنة ٧٩٨ هـ ظفروا بالقاهرة بمال مدفون قيل أنه ٧٠٠,٠٠٠ درهم لجركس الخليل مكتوب عليه أنه صدقه ، وفيه لعن لمن

---

(١) ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص ٧٠ ـ ٧١ ، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣، ابن قاضى شهبة، تاريخ ابن قاضى شهبة، ص ١٠٩، ١١٠ .

(٢) المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ٩٢، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١١، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٩، ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص ١٨٦ .

(٣) ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص ٣٢٢.

يغير ذلك ، فاجتمع الفقراء بالميدان في يومين وازدحموا فمات منهم نحو ثمانون نفساً وفرق عليهم الشيء الكثير (١) .

وشهد الميدان في صفر ٨٠٠ هـ فتنة ومعارك جرح فيها بعض المماليك لما خرج الامير بأى رأس نوبة النوب الكبير على السلطان برقوق ولكن قدر لبرقوق أن يخمد تلك الفتنة ويقبض على على باى وظل مماليكه لابسين ملابس الحرب وأمتلأ بهم ميدان الرميلة ، مستعدين خوفاً أن يكون لعلى بأى أعوان وشركاء (٢) .

وتزعم الامير الاتابكى ايتمش البجاسي فتنة كبيرة في شهر ربيع الأول سنة ٨٠٢ هـ ، وحدثت معارك بالرميلة فانهزم ايتمش وفر بمن بقى معه(٣) وقضى كذلك على الفتنة التي حدثت في شوال ٨٠٣ هـ (٤) .

وفي شهر صفر ٨٠٥ هـ تزعم الأمير سودون طار أمير دوادار كبير فتنة ضد السلطان فرج بن برقوق وجرح فيها جماعة من المماليك ولكنه هزم وقبض عليه ونفى إلى دمياط (٥) .

وفي رجب ٨١٣ هـ شهد ميدان الرميلة وميدان تحت القلعة معارك

---

(١) ابن قاضي شهبة، تاريخ قاضي شهبة، ص ٥٧٧ .

(٢) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، جـ١، ص ٤٦٦ - ٤٦٩، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٥٠٣-٥٠٦ .

(٣) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، جـ١، ص ٣٦ - ٤٠، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٥٥٨ - ٥٦٠ .

(٤) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، جـ٢، ص ١٠٧، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٦٢٦ - ٦٢٨ .

(٥) ابن حجر، انباء الغمر، جـ٢، ص ٢٣١، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٢، ص ٢٩٤، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٦٦٢ - ٦٦٣ .

وانقلاب قاده شيخ الذى تسلطن فيما بعد ، ونوروز الحافظى وكانا نائبين بالشام ضد الناصر فرج واشترك الذعر والعامة مع الاميرين ولكن الناصر فرج انتصر عليهم وقتئذ [١] .

وفى صفر ٨٤٢ هـ شهد الميدان فتنة بين المماليك حتى أن بعض المماليك هدموا جانباً من سور الميدان وعبروه [٢] .

ومن أهم الأحداث التى دارت بالميدان الوقعة بين السلطان الملك المنصور عثمان بن جقمق وبين الاتابكى اينال العلائى والتى دارت رحاها بالميدان من أول شهر ربيع الأول سنة ٨٥٧ هـ واستمر القتال أسبوعاً كاملاً ، وكان القتال بالرمى والنفوط والمدافع واستخدمت جميع الأسلحة وقطعوا الماء من المجراة ، وقد قام أصحاب اينال برمى القلعة من مدرسة السلطان حسن واستولوا على مصلى المؤمنى وهدموا جزءاً من سور الميدان ودخلوا منه إلى الميدان واستطاعوا الاستيلاء على باب السلسلة وتمكن اينال بعسكره أن يهزم عسكر الملك المنصور وملك القلعة وتسلطن فى يوم ٨ ربيع الأول سنة ٨٥٧ هـ (٨٥٧ - ٨٦٥ هـ) وأرسل الملك المنصور عثمان إلى سجن الاسكندرية ولم يكن قد تسلطن إلا ثلاثة وأربعين يوماً فقط ، وقد قتل كثير من المماليك والزعر والمتفرجين فى هذه الأحداث [٣] .

وفى أواخر جمادى الآخرة سنة ٨٥٩ هـ حدثت فتنة بالميدان ولكنها خمدت سريعاً [٤] .

---

(١) ابن حجر، نفس المصدر، جـ٢، ص ٤٥٤ ، ابن إياس، نفس المصدر، جـ١، ق٢ص، ٨٠٧ - ٨٠٨ .

(٢) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ١٠٧٥ ، ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٣، ص ٤٣٧ .

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٦، ص ٣٨، حوادث الدهور، جـ٢، ص ١٧١ - ١٧٢، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٤) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٦، ص ٨٧ -٨٨، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

أما في العصر العثمانى فقد شهد الميدان أحداثاً سياسية تكاد تكون منتظمة حيث كان الصراع بين طوائف الفرق العثمانية السبعة متأججاً طوال العصر العثمانى .

كما شهد الميدان ثورات شعبية لأسباب اقتصادية من الأزمات التى تنشب عن ندرة الحبوب وغلو أسعارها فتكون سببا فى حوادث الهياج والعصيان التى اندلعت كثيراً بالرميلة وخاصة فى القرن ١٢ هـ / ١٨م[١].

وتلك الأحداث حدثت على سبيل المثال فى صفر ١٠٨٩ هـ / ابريل ١٦٧٨ م ، ثم فى محرم ١١٠٧ هـ / سبتمبر ١٦٩٥ م ، وفى ذى الحجة ١١٣٥ هـ / سبتمبر ١٧٢٣ م ، وفى ذى الحجة ١١٤٥ هـ / يونية ١٧٣٣ م [٢] . وكانت أحداث هذه الحركات تبدأ أولاً فى الرميلة ثم تنتشر بتتابع لا يكاد يتغير ففى الفترة التى تشح فيها الحبوب ويصل غلوها للذروة كانت الرعية تتجمع أسفل القلعة للاحتجاج وللمطالبة باتخاذ أجراءات مناسبة لعلاج الحال وتؤدى هذه الظاهرة إلى حوادث يضطرب فيها النظام وتحطم أثناءها أبواب مخازن الحبوب فى الرميلة وتنهب ، وكانت حوادث العنف هذه تنتهى عادة بإجراءات قمع شديدة القسوة[٣] .

ويذكر « اندريه ريمون » أن الرميلة كانت مركزاً لهذه الحركات المختلفة

---

(١) اندريه ريمون، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية، ص ٢٧٩ .

(٢) أحمد شلبى، أوضح الاشارات، ص ١٧٦ ، ١٩٣، ٣٧٧، ٥٨٤، ابن الوكيل، تحفة الاحباب، ص ٢١٦، ٢١٧.

(٣) اندرية ريمون، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

لأنها مجاورة لمركز السلطة السياسية للبلاد حيث كان الناس يحملون شكاواهم ، وأيضاً كثرة أسواق الحبوب هناك وأخيراً لوجود شعب فقير فى هذه المنطقة من المدينة أكثر تأثراً من غيره بالمتاعب الاقتصادية على وجه الخصوص [1]

---

(١) نفس المرجع، ص ٢١٨

ميدان القبق

الموقع :

ذكر المقريزى موقع ميدان القبق فقال « أن هذا الموضع خارج القاهرة من شرقيها فيما بين النقرة التى ينزل من قلعة الجبل إليها وبين قبة النصر التى تحتها الجبل الأحمر »[١] .

وهذا الميدان مكانه الآن الأرض المشغولة بترب جبانة باب الوزير وقرافة المجاورين وجبانة المماليك حتى قبة الأمير يونس الدوادار (أثر رقم ١٥٧) التى لا تزال موجودة حتى اليوم بالجهة الشمالية من خانقاة الناصر فرج بن برقوق (أثر رقم ١٤٩) .

---

(١) الخطط، جـ٢، ص ١١١ .

* وقبة النصر ذكرها المقريزى فى الخطط جـ٢، ص ٤٣٣فقال « أن هذه القبة زاوية يسكنها فقراء العجم وهى خارج القاهرة بالصحراء تحت الجبل الأحمر بآخر ميدان القبق من بحريه، جددها الملك الناصر محمد بن قلاوون على يد الأمير جمال الدين اقوش نائب الكرك » .

* وقد ذكرها « السخاوى » فى التبر المسبوك فى حوادث سنة ٨٥٤هـ فذكر أن السلطان أمر بإقامة صلاة استسقاء فى الصحراء فخرج سائر الناس ونصب للأمام منبر بين تربة الظاهر برقوق وبين قبة النصر بالقرب من الجبل » .

من هذا يتبين أن القبة المذكورة كانت واقعة فى الفضاء الكائن شرق خانقاة السلطان برقوق بن برقوق وقبة الأمير يونس الدوادار بينهما وبين الجبل الأحمر وقد اندثرت هذه القبة . انظر : محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٧، ص ٤١

أسما الميدان :

أطلق على هذا الميدان عدة تسميات فكان يقال له الميدان الأسود وميدان العيد والميدان الأخضر وميدان السباق (١)

إنشاءه :

أنشأ هذا الميدان السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، وقد بنى به مصطبة فى المحرم من سنة ٦٦٦ هـ أو سنة ٦٦٧ هـ (٢) ، وقد أنشأه الظاهر ليكون ميداناً لتدريب جيشه وشعبه على جميع ألعاب الفروسية ، وصار الميدان محفلاً رياضاً عظيماً ، فقد أراد الظاهر أن يعبئ جيش مصر وشعبها للجهاد فى سبيل الله فى فترة الجهاد المحتدمة بينه وبين التتار والصيلبيين ، فجعل هذا الميدان للتدريب وصار أيضاً مكاناً ترويحياً للاحتفالات والمواسم والاعياد ، وكانت تتم به جميع ألعاب الفروسية من سباق للخيل ورمى النشاب ولعب الرمح ولعب الكرة ولعب القبق والمصارعة .

وقد بلغ اهتمام الظاهر بيبرس بتدريب الجنود وأفراد الشعب أنه كان ينزل كل يوم إلي شرفته بالميدان من وقت الظهر إلى العشاء مشتركاً فى الرماية مشجعاً المماليك والناس على آساليب القتال والمبارزة بالرمح والرمى بالنشاب (٣)

---

(١) المقريزى، نفسه، السخاوى، تحفة الاحباب، ص ٣١.

* نستنتج من كلام المقريزى والسخاوى وغيرهما من المؤرخين أن الميدان الأسود كان يشغل الجزء الجنوبى من الميدان من القلعة جنوباً حتى باب الوزير شمالاً، وأن ميدان العيد كان يشغل الجزء الشمالى من باب النصر إلى باب الحسينية.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١١١، جـ١، ص ٥٧٣.

(٣) نفس المصدرين والصفحتين.

وكثيراً ما اقيمت حفلات الفروسية ما بين خواصه ومماليكه تولى فيها توزيع الجوائز على الفائزين من المتبارزين ، وكان لهذا التشجيع أحسن الأثر فى تدريب الشعب خاصته وعامتة على جميع أنواع الفروسية حتى شمل جميع الطوائف [1] .

وقد ظل السلطان بيبرس مداوماً على النزول للميدان وتبعه فى ذلك من تولى بعده من أولاده ، وكذلك الملك المنصور قلاوون وولديه الأشرف خليل والناصر محمد [2] ، وكانوا يركبون الميدان فى مواكب عظيمة يخرج أهل القاهرة جميعاً لرؤيتها .

وقد شهد الميدان أيضاً كغيره من الميادين استقبال الرسل والقصاد والسفراء الأجانب والضيوف وكبار الشخصيات ، وتم اشتراكهم فى التمتع بما يحدث فى الميدان من أنشطة .

أبطال ميدان القبق :

ظل ميدان القبق مرتعاً وملعباً للرياضة والفروسية والترويح عن النفس ، وظل فضاءاً لابناء فيه من قلعة الجبل إلى قبة النصر حتى أيام الناصر محمد بن قلاوون فترك النزول إليه وبنى مسطبة برسم مطعم طير الصيد بالقرب من بركة الحبش وصار ينزل هنالك ، ثم ترك تلك المسطبة فى سنة ٧٢٠ هـ وعاد إلى ميدان القبق وركب إليه على عادة من تقدمه من الملوك

---

(١) حسن عبد الوهاب ، « خانقاة فرج بن برقوق وما حولها » بحث فى كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية، (نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة،١٩٧٩)، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١١٣ .

إلى أن بنيت فيه الترب شيئاً بعد شيء حتى انسدت طريقة واتصلت المباني من ميدان القبق إلى تربة الروضة خارج باب البرقية ، وبطل السباق فيه وكذلك رمى القبق من آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون خشية على قبور المسلمين [١] .

وقد ذكر « المقريزى » أنه أدرك عواميد من رخام قائمة بهذا الفضاء تعرف بين الناس بعواميد السباق بين كل عمودين مسافة بعيدة ظلت قائمة إلى ما بعد سنة ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م فهدمت عندما عمر الأمير يونس الدوادار الظاهرى تربته تجاه قبة النصر ثم عمر أيضاً الأمير قجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق تربة هنالك وتتابع الناس فى البنيان حتى صارت جبانة كبيرة [٢] .

ويرى المرحوم « حسن عبد الوهاب » أن الشرفة الملاصقة الباب البحرى لخانقاة فرج بن برقوق ربما حلت محل شرفة الظاهر بيبرس حيث جدد انشائها الملك الناصر فرج بن برقوق عند انشائه الخانقاة واهتمامه ببقايا هذا الميدان [٣] . (لوحة ٤١ ، ٤٢) .

لعبة القبق :

أطلق على هذا الميدان ميدان القبق نسبة إلى أجل اللعبات وأكثرها أثارة فى عصر سلاطين المماليك ، وهى لعبة القبق التى كانت منتشرة فى

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٦٢، ٤٦٣ ـ ٤٦٤، السخاوى، تحفة الاحباب، ص ٣١ ـ ٣٢.

(٢) الخطط، جـ٢، ص ١١٢.

(٣) خانقاة فرج بن برقوق، ص ٢٠٥.

أرجاء العالم الإسلامى ، وكان لها دور بارز فى مصر بوجه خاص [١] ، وقد ذكر المؤرخون أن السلطان الملك الظاهر بيبرس رتب لعب القبق سنة ٦٦١ هـ [٢] أو سنة ٦٦٢ هـ [٣] .

وقد قال « المقريزى » عن لعبة « القبق » القبق عبارة عن خشبة عالية جداً تنصب فى براح من الأرض ويعمل بأعلاها دائرة من خشب وتقف الرماة بقسيها وترمى بالسهام جوف الدائرة لكى تمر من داخلها إلى غرض هناك تمريناً لهم على أحكام الرمى ، ويعبر عن هذا بالقبق فى لغة الترك »[٤] ومعنى كلمة القبق القرعة العسلية [٥] .

كما يوجد نوع آخر مشابه للطريقة السابقة وكانت طريقتها اقامة صار طويل من خشب فى قمته كرة من ذهب أو فضة بمثابة هدف بداخلها طير الحمام ، ثم يتبارى اللاعبون فى اصابته بالنشاب أو السهام وهم على ظهور الخيل فمن أصاب الهدف وأطار الحمام حاز السبق وأخذ الكرة المعدنية مكافأة له [٦] .

وهناك طريقة أخرى للعب القبق وهى أن يجعل فى الميدان حبل معترض على خشبتين ويجعل القبق فى وضع متوسط بين الخشبتين ، ويكون سوق الرماة عند الرمى من تحت الحبل وفى بعض الاحيان كان

---

(١) عن تاريخ هذه اللعبة بالتفصيل انظر: Ahmed Abdar- Raziq, Deux Jeux,Annales Islamologiques, Xii, (1974), PP. 96 - 107.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ، ق ١، ص ٣١٩.

(٣) ابن دقماق، الجوهر الثمين، جـ٢، ص ٧٢.

(٤) الخطط، جـ٢ ، ص ١١١ .

(٥) أحمد عبد الرازق، وسائل التسلية عند المسلمين، ص ١٠٩ .

(٦) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٨، ص ١٦ ، حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ٢١٥ .

يستعاض عن الحبل برسم الدائرة اتساعها عشر باعات يكون القبق فى مركزها ثم يرمى اللاعب إلى السماء لاصابته [1] . (لوحة ٤٣ ، ٤٤) .

وهناك بعض التصاوير فى مخطوطات الفروسية توضح طريقة الرمى على القبق وكيفية الدخول فيه من بينها تصويرة محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس تنسب إلى عصر السلطان الملك الأشرف قايتباى سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧١ م تمثل فارسين متواجهين بعدوان بجواديهما فى وضعة ثلاثية الارباع حيث يحاول كل منهما اصابة هدف على هيئة قرعة مرفوع فوق صارى طويل عن طريق اطلاق سهم من قوس فى يده [2] .

بعض الاحتفالات بميدان القبق :

بجانب الأيام العادية التى اعتاد فيها السلاطين والأمراء والمماليك لعب القبق بصفة منتظمة ، فقد شهد الميدان أياماً كانت بمثابةالأعياد والمهرجانات الكبيرة مثل الاحتفالات بختان أولاد السلاطين والأمراء وحفلات الزواج ، فكان الميدان يزدحم ازدحاماً شديداً بطوائف الجيش

---

(١) طنبغا الاشرفى، بغية المرام وغاية الغرام فى الرمى بالنشاب، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٩٣ فروسية، ورقة ٢١ب.

(٢) محمد مصطفى، مخطوط مصور فى تعليم فنون القتال والفروسية من أواخر عصر المماليك الجراكسة، (بحث مستخرج من مجلة المجمع العلمى المصرى، المجلد ١٥، دورة ١٩٦٩ / ١٩٧٠) ص ١٣، ولوحة ١٤، ولنفس المؤلف: Miniature Paintings in Some Mamlux Manuscripts, Bie, Lii, (1972) Pls 24 - 25.

أحمد عبد الرازق، وسائل التسلية ، ص ١١١ - ١١٢، ولوحة ٩ شكل ب، Deux Jeux, PlViii/Ix.

نبيل عبد العزيز، الخيل ورياضيتها فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٧٢، شكل ٤ .

والشعب وصار لا يسع الناس من اللاعبين والمتفرجين ، وكانت الأسواق تنصب حينئذ بأنواع عديدة من المأكولات والمشروبات .

وكان الملك الظاهر بيبرس يصحب مماليكه إلى ميدان القبق وبرتبهم اجمل ترتيب ويندفق بهم اندفاق البحر فيشاهد الناس أبهة عظيمة ويقام القبق وتفرد الجوائز على الفائزين من خيول السلطان الخاصة وخلعه ومكافآت مالية وغير ذلك ، إلى جانب ممارسة الوان الفروسية الأخرى حيث ينقسم المماليك فريقين يلعبون مرة بالنشاب أو الطعان بالرماح أو الدبابيس أو السيوف ، وظل الظاهر بيبرس فترة كبيرة ينزل كل يوم للميدان من الظهر ويركب منه عشاء الآخرة وهو واقف فى الشمس يرمى ويحرض الناس على الرمى والرهان فما بقى أمير ولا مملوك إلا وهذا شغله واستمر الحال على ذلك حتى صارت تلك الأمكنة لا تسع الناس من الزحام (١) .

ومن الأيام الحافلة التى شهدها الميدان الأيام العشرة الأولى من ذى القعدة سنة ٦٦٢ هـ وكان ذلك بمناسبة ختان الملك السعيد محمد بركة خان ابن السلطان الملك الظاهر بيبرس البند قدارى إذ هيأ السلطان بيبرس فرسانه ومماليكه فى اكمل زى وأتم عدة وأبهى زينة ودعى رسل الملك بركة ملك التتار حتى يريهم مهارة ومقدرة جيش مصر وعز الدولة المملوكية فدهشوا وبهروا مما رأوه ، ونصبوا القبق بالميدان وكان بيبرس يخلع على كل من يصيبه فرساً بما عليه من زينة وخلعة ، وتم اللعب بالرماح والرمى بالنشاب والمبارزة بالسيوف ، وأقام السلطان الولائم الحافلة وخلع على أرباب الدولة واعيانها ، وفى اليوم العاشر عمل السماط

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١١١.

بقلعة الجبل بمناسبة ختان الملك سعيد بن الظاهر بيبرس ومعه بعض أولاد الأمراء ، ودعى بعض أولاد الفقراء واليتامى فختنوا وكسوا [١] .

ومن الأيام الحافلة التى شهدها الميدان أيضاً الأسبوع الاخير من شهر رمضان سنة ٦٧٢ هـ إذ أن بيبرس كان قد اطمأن إلى أحوال الدولة من الخطر الذى كان يهددها من قبل التتار بالشام وعاد إلى مصر وعزم على ختان ابنه فى أبهى زينة ونصب القبق ولعب مع المماليك وابدى براعة فائقة ولعبت المماليك بالرماح والدبابيس وبرمى النشاب وتسابقوا بالخيل، وجرى من اللعب والزينة مالا يوصف مدة أسبوع بالميدان ، وخلع السلطان بيبرس على عدد كبير من الأمراء والأعيان والمماليك ، وحضر من العامة والمتفرجين اعداد كبيرة وابتهجوا وسروا سروراً عظيماً بتلك الأيام لأنها كانت أيام عيد فتضاعفت بسببه الأفراح للخاصة والعامة ، وقد سجل الشعراء تلك الأيام فى أشعارهم [٢] .

وشهد الميدان احتفالات عظيمة بمناسبة زواج الملك سعيد بن الظاهر على بنت الأمير سيف الدين قلاوون فى الأسبوع الأول من جمادى الأولى سنة ٦٧٥ هـ ، إذ أمر الظاهر العسكر بالركوب إلى الميدان كل يوم فى أحسن زى والناس تزدحم للفرجة مدة أسبوع ، ونصب القبق ولعب السلطان والأمراء والمماليك ، وكانوا أيضاً يتسابقون بالخيل ويلعبون ويرمون بالنشاب ، وكان السلطان ينعم بالهدايا من خيول وملابس على الأمراء والمماليك المصيبون فى لعب القبق كما أنعم فى اليوم السابع على

---

(١) المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٥١٨ - ٥١٩.

(٢) بيبرس الدودار، التحفة الملوكية، ص ٧٩، زبدة الفكرة، ص ١٣٢، المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٦١١ - ٦١٢، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٧، ص ١٦٤.

أمراء الدولة ووزرائها وقضاتها وكتابها وأطبائها ألف وثلاثمائة خلعة وأرسل إلى دمشق الخلع ففرقت هناك ، وجرى من اللعب والزينة ما لا يوصف ومدت الاسمطة الحافلة التى حضرها العامة والخاصة ، وسر الناس سروراً عظيماً ، وقد ذكر المؤرخون أن السلطان لعب بيده اليسرى مما أدهش الناس لمهارته حيث أصاب القبق باليسرى وأخطأ غيره باليمنى ، وكانت تلك الأيام بالميدان ملتقى دبلوماسياً كبيراً ، فقد حضر رسل التتار ورسل الفرنج وخلع عليهم السلطان خلعاً سنية ، وحضر كذلك صاحب حماة للتهنئة ومعه هدايا عظيمة ، وقدم الأمراء للسلطان هدايا كثيرة لم يقبل منها إلا أقل القليل جبراً لخواطرهم [1] .

وقد شهد الميدان أياماً مشهودة كذلك فى فترة حكم السلطان الملك الأشرف خليل ومنها بعض الأيام فى ذى الحجة سنة ٦٩٢ هـ ، وكان سبب تلك الاحتفالات أن الأشرف قد استعد لمولود له ظن أنه سيكون ذكراً يخلفه فى الملك فاستعد له استعداداً عظيماً فخيب الله ظنه ورزقه بأنثى فكره الغاء الاحتفال واظهر انه يريد ختان أخيه محمد وابن أخيه مظفر الدين موسى ، فأمر بأن يلبس الأمراء والمماليك آلة الحرب من السلاح الكامل وخيولهم ويصيروا بأجمعهم كذلك فى الميدان الأسود خارج باب النصر فاهتم الأمراء والعسكر اهتماماً كبيراً لذلك واخذوا فى تحسين العدد وبالغوا فى التأنق وتنافسوا فى اظهار التجمل الزائد وخرج فى اليوم الرابع من اعلام الأمراء السوقة (الذين يسوقون بالرمح) ونصبوا عدة صواوين فيها سائر البقول والمآكل فصار الميدان سوقا عظيماً ، ونزل السلطان من قلعة الجبل بعساكره وعليهم لأمة الحرب وقد خرج سائر من

(١) المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٦٢٦ - ٦٢٧، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٧، ص ١٦٥ - ١٦٦، العينى، عقد الجمان، جـ٢، ص ١٥٤ - ١٥٦، ابن أبى الفضائل، النهج السديد، جـ١٤، ص ٥٦١ .

فى القاهرة ومصر من الرجال والنساء الا من خلفه عذر لرؤية السلطان فأقام السلطان يومه وحصل للناس بهذا الاجتماع ما يعز وجود مثله ، وأصبح السلطان وقد استعد العسكر بأجمعه لرمى القبق ورسم للحجاب بأن لا يمنعوا أحداً من الجند ولا من المماليك ولا من غيرهم من الرمى ، ورمى الأمراء والمماليك القبق فأصابوا والناس بأسرهم قد اجتمعوا للنظر حتى ضاق بهم الفضاء وسر السلطان سروراً كبيراً من الرمى واستمر ذلك الحال ثلاثة أيام ، وقد صاحب ذلك الجو البهيج أرباب الملاهى والأغانى وأصحاب الملعوب الذين زادوا الأمر سروراً ، وصار الناس من الطرب والسرور فى أحسن شىء يقع فى العالم حتى تغير الجو وثارت الريح وصار النهار كالليل فانفض ذلك الجمع البهيج (١) .

وقد ذكر المؤرخون أنه فى هذا اليوم انعم السلطان على الأمير سيف الدين بيسرى بخمسة وثلاثين ألف درهم عيناً سوى الخلع وغيرها لما ابتكره من طريقة جديدة لأداء لعبة القبق (٢) .

---

(١) ابن إيبك، كنز الدرر، جـ٨، ص ٣٤٣، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١١٢ ـ ١١٣، السلوك، جـ١، ص ٧٨٥ ـ ٧٨٦، ابن تغرى بردى، النجوم ، جـ٨، ص ١٦، بيبرس الدودار، زبدة الفكرة، ص ٢٧٢ .

٢) يرجع المؤرخون هذا الانعام الجزيل لان الامير بيسرى الشمس الصالحى احدث فى ذلك الحفل تعديلاً جديداً فى رمى القبق إذ عمل سرجاً خاصاً لفرسه وطئ ليلعب به القبق فلما رآه السلطان قال له : قد كبرت يا أمير بدر الدين فاقترحت هذا السرج ليسهل عليك الركوب، فقال الأمير بيشرى : أن كان المملوك قد كبر فقد رزقت ستة أولاد وهم فى خدمة السلطان، ولم يكن اقترح هذا السرج إلا لأجل القبق، ثم ساق الأمير بدر الدين نحو صارى القبق والعادة الجارية أن الرامى لا يرميه إلا إذ صار بجانب الصارى فساق إلى أن تعدى الصارى فما شك الناس أنه فاته الرمى ثم استلقى على ظهر فرسه حتى صار راسه على كفل الفرس فرماه وهو كذلك بعد أن تعداه فاصاب القرعة وكسرها فصرخ الناس لذلك واستعظموه وظهرت للسلطان فائدة السرج فامر ان ينعم عليه بما بقى فى ذلك الوقت من المال المرصد للانعام فاعطيه وكان خمسة وثلاثين الف درهم. انظر: النويرى، نهاية الارب، جـ٢٩، ص ٣٠٤ب، عن: تحقيق محمد مصطفى السلوك، جـ١، ص ٨٨٦.

وفى أيام الناصر محمد بن قلاوون استمر الميدان فترة مكاناً عظيماً للاحتفالات والالعاب حتى عمل الناصر محمد بدائل عنه مثل الميدان الناصرى وميدان المهارى وميدان تحت القلعة وغير ذلك ، وتم انشاء الترب بأنحائه فبطل الركوب اليه ، وكان الناصر قبل ابطاله يرسل إلى أمراء العرب أن يحضروا إليه الخيل للسبق فى الميدان ما بين قبة النصر وقلعة الجبل [1] .

---

(١) المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٢٠٨، ٥٢٩ ـ ٥٣٠ .

الميدان الناصرى على النيل

يلى هذا الميدان ميدان الرميلة من حيث أهميته وكان متنزهاً كبيراً زمن المماليك بالاضافة لاستخدامه فى استضافة الرسل والسفراء والضيوف .

الموقـــع :

ذكر « المقريزى » أن هذا الميدان من جملة بستان الخشاب فيما بين مدينة مصر والقاهرة ، وكان موضعه قديماً غامراً بماء النيل ، وقد أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٨ هـ بدلاً من الميدان الظاهرى الذى هدمه سنة ٧١٤ هـ وجعله بستاناً (١) .

ويمثل موقع هذا الميدان الآن جزء من منطقة جادرن سيتى ويتمثل حده الغربى فى شارع كورنيش النيل (القصر العالى سابقاً) ومن الجنوب شارع عائشة التيمورية به الوالدة باشا سابقاً) ومن الشرق شارع القصر العينى ومن الشمال شارع رستم باشا (٢) . (شكل ٦٢) .

---

(١) الخطط، جـ٢ ، ص ٢٠٠ ، وقد ذكر المقريزى الميدان أيضا فى كلامه على ظواهر القاهرة المعزية جـ٢ ، ص ٢٠٨ ، وفى كلامه على بر الخليج الغربى، جـ٢ ، ص ١١٣ ، وعلى قنطرة الفخر، جـ٢ ، ص ١٤٨ .

(٢) محمد رمزى، تعليقه على النجوم الزاهرة، جـ٩ ، ص ٩٧ .

عمارة الميدان فى العصر المملوكى :

عمر الناصر محمد بن قلاوون هذا الميدان وجهزه للركوب إليه واللعب به فى سنة ٧١٨ هـ فعرف بالميدان الناصرى نسبة إليه كما أطلق عليه الميدان الكبير وكذلك الميدان السلطانى على النيل وأحياناً الميدان فقط ، وقد جعل حوله أسوار وأبواب ، كما بنى حوله القصور لينزل بها ومعه أمراءه بالاضافة لتجهيز عدد من الخيام به (١) .

وفى تلك السنوات زادت العمارة فى خط الميدان زيادة كبيرة مدة الناصر محمد واتصلت المبانى على طول شاطئ النيل حينئذ (٢).

وفى أيام الظاهر برقوق تعرض الميدان للاهمال والتخريب إذ أنه ابطل الركوب إليه ولعب الكرة به فتشعثت قصوره وجدرانه وصار منزلا لركب الحجاج المغاربة (٣). وربما يرجع سبب ذلك إلى اهتمام برقوق بالرميلة وميدان تحت القلعة حيث قضى هناك معظم أوقاته لذلك أمر السلطان المؤيد شيخ بعمارته فى سنة ٨٢٣هـ وعهد بالاشراف على عمارته للوزير الصاحب بدر الدين نصر الله فعمره عمارة حسنة (٤).

كما اهتم الظاهر جقمق بعمارته فأمر بتجديده فى ذى القعدة سنة ٨٤٤ هـ ، واعاد بناء سوره(٥)، كما أمر السلطان قايتباى بعمارته فى ذى

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٢٠٠، السلوك، جـ٢، ص ١٨٢، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٤، ص ٤٧.

(٢) انظر بالتفصيل الفصل الأول من هذه الرسالة.

(٣) المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٥٢٩، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٤، ص ٩٥.

(٤) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٥٢٩، ابن حجر، انباء الغمر، جـ٣، ص ٢٢١، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٤، ص ٩٥، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٥٢ - ٥٣.

(٥) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ١٢١٦، ١١٢٦.

القعدة سنة ٨٩٧ هـ وكان الانابكى أزبك شاداً على عمارته حتى انتهى منه (١) .

الميدان فى العصر العثمانى :

أهمل هذا الميدان فى العصر العثمانى وحولت أرضه إلى بساتين وربما يرجع سبب ذلك لطغيان على النيل عليه ، لذا اقيم بدلاً منه ميدان آخر شرقيه فى محاذاة الميدان القديم وقد وقع على خرائط الحملة الفرنسية باسم ميدان النشابة نسبة إلى تدريبات الفرسان على الرمى بالنشاب من فوق ظهور الخيل (٢) .

التنزه واللعب فى الميدان الناصرى فى العصر المملوكى :

لما عمر هذا الميدان سنة ٧١٨ هـ أصبح الركوب إليه من أهم شعارات ورسوم السلطنة المملوكية وكان الملك الناصر يركب إليه كل يوم سبت لمدة شهرين بعد وفاء النيل كل عام فى موكب حافل ويتجمع أهل القاهرة ومصر لمشاهدته فى طريقه من القلعة إلى هناك ، وكان الناصر محمد قد استجد ركوب فرقة للتيسير والرياضة تسمى الاوشاقية كان لها هيئة خاصة فى لباسها وترتيب خيولها (٣) .

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور جـ٣، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ، السخاوى، الضوء اللامع، جـ٦، ص ٢٠٨ .

(٢) محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٩ ، ص ٩٧، جـ١٢، ص ٦٩، على مبارك ، الخطط التوفيقية، جـ٣، ص ٢٢٦ ، جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٣٤٧ .

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢ ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ ، السلوك، جـ٢، ص ١٨٣ ، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٤ ، ص ٤٧ ، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٩ ، ص ٥٦ .

وكان موكب السلطان للميدان من المعالم الرئيسية للدولة حرص الملك الناصر محمد عليه ، إذ أنه فى سنة ٧٢١ هـ لما قام العامة بحرق عدة كنائس للنصارى وقتل الناصر محمد كثير من العامة بسبب ذلك فخاف الناس من الاجتماع لرؤية مواكبه لذا اصدر الناصر نداءاً بخروج الناس للفرجة على الميدان ولهم الأمان والاطمئنان فخرجوا على عادتهم (١) .

وداوم خلفاء الناصر محمد على النزول للميدان الناصرى ولعب الكرة فى مواكب حافلة يتجمع لها أهل القاهرة ومصر جميعاً ، ومن هؤلاء الاشرف شعبان (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ) (٢) ، والمنصور علاء الدين على بن شعبان (٧٧٨ - ٧٨٣ هـ) (٣) والصالح زين الدين حاجى (٧٨٣ - ٧٨٤ هـ) الذى كان كثير اللهو كثير النزول واللعب بالميادين فكان ينزل للميدان تحت القلعة كل يوم أحد وثلاثاء من كل أسبوع وينزل للميدان الناصرى كل يوم سبت ، وفى آخر نزوله للميدان الناصرى عمل موكباً حافلاً إذ أمر أمرائه والمماليك بعمل طابور من الصليبة إلى فوق الاصطبل بالقلعة وهو جالس بالقصر ليرى ذلك وجمعت أرباب الملاهى ورتبوا فى عدة أماكن بالميدان وتجمع الناس من كل جهة من الصليبة إلى الميدان إلى الاصطبل حتى استفاد أصحاب البيوت والحوانيت باكتراءها فى ذلك اليوم للمتفرجين بأجور مرتفعة حتى أنه قد أجرت مواضع الوقوف وكان يوماً لم يعهد فى ركوب الميدان مثله (٤) .

---

(١) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٩ ، ص ٧٢ .

(٢) المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ١٩٦ ، ٢٣٢ ، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ، ق٢، ص ١٣٦ .

(٣) المقريزى، نفس المصدرس، جـ٣، ص ٣٣٥ ، ابن إياس، نفس المصدر، جـ١ ، ق٢، ص ٢٣٠ .

(٤) المقريزى، نفس المصدر، جـ٢، ص ٧٣٥ .

أما السلطان الظاهر برقوق فقد نزل بالميدان الناصرى ولعب به الكرة عـدة مـرات [1] فى بداية حكمه إلا أنه بعد ذلك أبطل النزول إليه واهمله[2] وربما يرجع ذلك لاهتمامه الزائد بميدان الرميلة وهو بذلك قد أبطل رسماً وشعاراً هاماً من رسوم السلطنة المملوكية التى كانت تميزها .

وظل الميدان مهملاً حتى أعاد إليه النشاط الملك المؤيد شيخ الذى أكثر من النزول والبيات واللعب به ، واضاف إليه لعب المماليك بالرماح فكانت أيام المؤيد شيخ من أنزه أيام سلاطين المماليك [3] .

وكذلك ظل الظاهر جقمق (٨٤٢ ـ ٨٥٧ هـ) كثير النزول للميدان[4] ، ولكن أى من السلاطين من بعد جقمق لم يهتم بأمر الميدان حتى أمر قايتباى بعمارته .

ومن الجدير بالذكر أن المحمل الذى يحمل كسوة الكعبة كانوا يسيرون به إلى الميدان الناصرى ويستعرضونه هناك مثلما حدث فى ١٤ رمضان ٨٦٨ هـ ، وكان الشهابى أحمد بن العينى أمير حاج المحمل وكانوا فى هيئة جميلة من الاقمشة الهائلة المزركشة التى قل أن رؤى مثلها [5] .

استضافة رسل وضيوف السلطنة المملوكية بالميدان الناصرى :

استغل الميدان الناصرى فى استقبال واستضافة الرسل والقصاد

(١) المقريزى، نفس المصدر، جـ٣، ص ٤٩٧ ، ٥١٨ ، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١١، ص ٢٣٥ .

(٢) ابن تغرى بردى، نفس المصدر، جـ١٢، ص ٦٩، ٧٠ ، جـ١٤، ص ٩٥ .

(٣) المقريزى، السلوك، جـ٤ ، ص ٥٣٧ ، ابن تغرى بردى، النجوم جـ١٤، ص ٩٦، ٩٩، ١٠١، ١٠٢ .

(٤) المقريزى، نفس المصدر، جـ٤ ، ص ١١١٦، ١١٢٦ .

(٥) ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ٣، ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠ .

والسفارات والضيوف الذين يأتون مصر فى شئون دبلوماسية وغيرها فى عصر سلاطين المماليك ، كما كان الميدان يستقبل نواب السلطنة بالشام والحجاز ، وكان الميدان كذلك محطة واستراحة ومنزل للحجاج المغاربة[١].

وقد كان هؤلاء الرسل والضيوف يقيمون بمناظر وقصور الميدان بالاضافة للخيم الكبيرة المجهزة ، وكان السلاطين يحتفلون بهم ويتبادلون الرسائل والمكاتبات والهدايا وكانت ترتب لهم جميع نفقات اقامتهم بالميدان من مأكل ومشرب بالاضافة للخلع التى تخلع عليهم والهدايا التى يتلقونها

ومن هؤلاء الرسل رسل القان أبى سعيد (متملك العراق وايران آنذاك) الذين اتوا فى شهر رجب ٧٢٧ هـ واضافهم السلطان الناصر محمد بالميدان وتبادل معهم الهدايا [٢] .

ومن الضيوف الذين استقبلهم الناصر محمد بالميدان الناصرى أيضاً جماعة كبيرة من حجاج المغرب على رأسهم الحرة بن السلطان أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب المرينى صاحب فاس ، وصلوا القاهرة يوم ١٢ رمضان سنة ٧٣٨ هـ وقد أكرم الناصر وفادتهم حتى خروجهم للحج فى شهر شوال ، وقد أهدوا إلى الناصر محمد هدية عظيمة فقابلهم الناصر محمد بالمثل وجهزهم بما يلزمهم [٣]

وكذلك انزل بالميدان رسل الملك ازبك التتار فى جمادى الآخرة سنة

---

(١) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٤، ص ٩٥.

(٢) المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٣) المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٤٤٧ - ٤٤٨.

٧٣٩ هـ ، وكانوا يخطبون ود الناصر محمد وكان ملكهم اراد أن يصاهر الناصر محمد فى احدى بناته لينال شرفاً كبيراً مثلما تزوج الناصر محمد باحدى الاميرات عندهم فاعتذر لهم الناصر محمد بصغر سن بناته ، وأكرم مثواهم واحتفل بهم احتفالاً كبيراً (١) .

وكذلك استضيف بالميدان فى ذى الحجة سنة ٧٤١ هـ سفارة كبيرة من أمراء وقضاة بعض ايلخانات فارس والعراق وديار بكر ليقدموا الولاء ويخطبون ود الناصر محمد الذى أحسن استقبالهم وانعم عليهم انعامات كثيرة (٢) .

وفى زمن سلطنة الكامل شعبان بن الناصر محمد (٧٤٦ ـ ٧٤٧) استقبل بالميدان فى جمادى الأولى سنة ٧٤٦ هـ أمير مكة وخلع عليه السلطان باستقراره أمير مكة (٣) .

وفى سلطنة الصالح صلاح الدين صالح بن محمد بن قلاوون (٧٥٢ـ ٧٥٥ هـ) انزل بالميدان فى ربيع الآخر ٧٥٤ هـ رسل المجاهد صاحب اليمن ومعهم هدايا فاخرة للسلطان ، واحتفل بهم السلطان احتفالاً كبيراً (٤) .

وفى سلطنة الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٦٤ ـ ٧٧٨ هـ) استضاف الميدان أيضاً فى محرم سنة ٧٦٨ هـ سفارة من الملك الأفضل بن المجاهد صاحب اليمن وكان على رأس السفارة وزيره

---

(١) الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ٤٥ .

(٢) الشجاعى، نفس المصدر، ص ٩٨ - ١٠١، المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٥١٩ . ٥٢٠ .

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم ، جـ١٠، ص ١٢٠.

(٤) المقريزى، السلوك، جـ ٢، ص ٨٩٢ .

شرف الدين حسين بن على الفارقى ومعه هدايا قيمة [١] وكذلك استضاف الأشرف شعبان بالميدان فى رمضان وشوال سنة ٧٧٧ هـ الأمير بيدمر الخوارزمى نائب الشام الذى قدم للسلطان والأمراء هدايا قيمة [٢].

وفى سلطنة الصالح زين الدين حاجى الأولى (٧٨٣ - ٧٨٤) وصل رسل من صاحب بغداد فى جمادى الآخرة ٧٨٣ هـ وأنزلوا بالميدان الكبير الناصرى واكرموا واخلع عليهم ، وكان عددهم كبيراً وكان على رأسهم قاضى بغداد زين الدين العتايقى الذى أحسن المصريون استقباله[٣] .

كما استقبل أمير مكة فى سلطنته الثانية (٧٩١ - ٧٩٢ هـ) وأنزله الميدان فى رجب سنة ٧٩١ هـ [٤] .

وفى سلطنة الظاهر برقوق (٧٨٤ - ٨٠١ هـ) استضيف بالميدان رسل الدولة العثمانية فى محرم سنة ٧٩٠ هـ وأحسن الظاهر برقوق وفادتهم [٥] .

وفى سلطنة الأشرف برسباى (٨٢٥ - ٨٤١ هـ) كثر استقبال الرسل والسفراء والضيوف وأنزل بعضهم بالميدان الناصرى ، ومنهم رسل الدولة العثمانية الذين نزلوا بالميدان فى شعبان ٨٢٦ هـ ، وكانوا جماعة كبيرة أحسن السلطان وفادتهم ورتب لهم نفقات كبيرة وأقاموا إلى أيام سفر الحجاج [٦] .

(١) نفس المصدر، جـ٣، ص ١٢٧ ، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ، ق٢، ص ٤٢ .

(٢) المقريزى، نفس المصدر، جـ٣، ص ٢٢٥ ، ٢٥٦ ، ابن إياس، بدائع الزهور جـ١ ، ق٢، ص ١٥٩ .

(٣) ابن قاضى شهبة، تاريخ ابن قاضى شهبة، ص ٦١ .

(٤) ابن قاضى شهبة، تاريخ قاضى شهبة، ص ٢٨٠ .

(٥) المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ٥٧٤ .

(٦) العينى، عقد الجمان (نشر الزهراء)، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

وقد استخدم الميدان كمكان لتجمع الجيوش مثلما حدث فى جمادى الآخرة سنة ٨٢٩ هـ اذ نزل به عدد كبير من عسكر الشام ومن طوائف العشائر ليسيروا للجهاد [١] .

وقد نزل بالميدان أمير مكة فى شوال سنة ٨٢٩ هـ [٢] ، وفى جمادى الآخرة سنة ٨٣٠ هـ استقبل الحجاب ورؤوس النوب سفارة الدولة العثمانية وتلقونهم من خارج القاهرة وأنزلهم السلطان بالميدان وأحسن استضافتهم [٣] .

وقد استقبل الظاهر جقمق (٨٤٢ ـ ٨٥٧ هـ) كثيرا من السفارات والضيوف بالميدان منهم الأمير مازى نائب الكرك الذى مد له السلطان الاسمطة بالميدان وخلع عليه فى ربيع أول سنة ٨٤٦ هـ [٤] ، وكذلك انزل بالميدان فى رجب سنة ٨٤٦ هـ جماعة من نجد أراد السلطان الظاهر جقمق أن يوليهم أمر الحرمين (مكة والمدينة) بدلاً من امرائها الشيعة[٥]، وفى رمضان ٨٤٩ هـ قدم حجاج المغاربة ومعهم المرأة الحرة زوجة مولاى فارس صاحب المغرب ومعهم هدايا حافلة وانزلوا بالميدان واكرم السلطان ضيافتهم [٦] .

وفى صفر ٨٥٥ هـ وصل رسل من جهان شاه بن قرا يوسف متملك تبريز وبغداد وما الهاما وفيهم ابن اخيه اصبهان بن قرا يوسف ومعهم

(١) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٧١٨. (٢) نفس المصدر، جـ٤، ص ٧٢٧.

(٣) المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٧٧٦، العينى، عقد الجمان (نشر الزهراء)، ص ٣٣٣.

(٤) السخاوى، التبر المسبوك، ص ٤١ ـ ٤٢، العينى، عقد الجمان (نشر الزهراء)، ص ٥٧٩.

(٥) السخاوى، نفس المصدر، ص ٤٤، العينى، نفس المصدر، ص ٥٨٣.

(٦) السخاوى، نفس المصدر، ص ١٢٣، العينى، نفس المصدر، ص ٦٤٣، ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ١، ص ١٩.

هدايا ورسائل تودد للسلطان وطلب صفح وصلح لاعتدائهم على جهان كير بن على بك بن قرا يللك وأخذهم ارزيكاد ومدينته ماردين وادعوا انهم فعلوا ذلك لخروج الأخير عن طاعة السلطان ، فأنزلهم السلطان جقمق فى الميدان الناصرى وزتب لهم كل يوم عشرة آلاف درهم ، ومنعوا من الاجتماع بالناس (١) .

وفى ربيع آخر ٨٥٥ هـ قدم رسل محمد بن مراد بك بن عثمان سلطان الدولة العثمانية وكان الظاهر جقمق قد ارسل اسنباى الظاهرى أحد امراء العشرات لتهنئته بالسلطنة خلفاً لوالده ، ثم عاد اسنباى وهو بزى الأروام على قاعدة من تقدم من القصاد ومعه رسل السلطان العثمانى فأنزلوا بالميدان (٢) .

---

(١) ابن تغرى بردى، نفس المصدر، ص ١٠٢-١٠٣ ، السخاوى، التبر المسبوك، ص ٣٤٥.

(٢) السخاوى، نفس المصدر، ص ٣٤٨.

ميدان المهارى

قال « المقريزى » عن هذا الميدان » هذا الميدان بالقرب من قناطر السباع فى بير الخليج الغربى ، كان من جملة جنان الزهرى أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة عشرين وسبعمائة، ومن وراء هذا الميدان بركة ماء كان موقعها كرم القاضى الفاضل رحمة الله عليه » (١) .

ومن حسن الحظ أننا وجدنا ذكر لموقع هذا الميدان فى العصر العثمانى فى الوثيقة رقم ٢٨١٦ أوقاف والمؤرخة بتاريخ ٢ ربيع ثانى سنة ١٠٣٧هـ خاصة بوقف الأمير حسين أفندى بن حسين أغا أميرا اللوا السلطانى على التكية المولوية (٢) ، وقد ورد بها « ... وذلك جميع الغيط الكاين ظاهر القاهرة المحروسة خارج بابى زويلة والخرق بخط الناصرية بالقرب من قناطر السباع الذى كان مناخاً لجمال السلطنة الشريفة المعروف قديماً بالميدان وما به من بنا بيسرى الساقيتين الماء المعين العدتين الخشب الكاملتين الصالحتين للادارة المركبتين على فوهتيهما من

---

(١) الخطط، جـ٢، ص ١٩٩ .

(٢) التكية المولوية كان أصلها المدرسة السعدية التى بناها الأمير شمس الدين سنقر السعدى نقيب المماليك السلطانية فى سنة ٧١٥ هـ وبنى بها رباطًا للنساء وقبة، وقد تحولت إلى تكية للطريقة المولوية فى العصر العثمانى، (أثر رقم ٢٦٣).

الجهة القبلية وبنا للهمايل المذكور من الجهة البحرية وأصول الشجر النابتة وهى من الجميز ثلاثة أصول ومن البلح اصلان ومن السنط أصل واحد ومن النبق خمسة عشر فذاناً ونصف وثمن فدان وحسبة من فدان المخصوص ذلك بحدود أربعة الحد القبلى ينتهى بعضه للطريق وبعضه لحارة السياس وبعضه إلى حوش اهرمين وبعضه إلى حوش داخل درب الكنيسة وباقية إلى درب النبق والحد البحرى ينتهى بتمامه إلى بركة أبى شامة والحد الشرقى ينتهى بعضه إلى حوش محمد النشاشيبى وبعضه إلى جنينة الزهرى وباقية إلى بركة أبى شامة المذكورة والحد الغربى ينتهى بعضه إلى الجنينة المعروفة بانشاء المرحوم محمود باشا قديماً والآن فى ملك الأمير حسن أفندى الواقف المشار إليه وباقيه إلى الجنينة المعروفة بأبى زنطين قديماً والآن بيد مولانا الواقف المشار إليه » [١] .

وإذا استعرضنا ما سبق نرى أن البركة التى ذكرها المقريزى هى المعروفة فى العصر العثمانى باسم بركة أبو شامة (أبو الشامات) [٢] وأن بعض الأماكن التى وردت بالوثيقة لا تزال قائمة ومحتفظة بأسمائها القديمة مثل حارة السياس ودرب الكنيسة ودرب البندق وهى الدروب التى تصل ما بين شارع الناصرية وشارع خيرت [٣] . (شكل ٦٢) .

---

(١) كتاب الوقف رقم ٢٨١٦ أوقاف ص ٧،٦ .

(٢) عن بركة أبو الشامات، انظر ما سبق ص ١٩٦ .

(٣) نلاحظ هنا فى العصرين المملوكى والعثمانى مدى الحرص من المسئولين عن العاصمة القاهرة وأهلها على تخليد ذكر الأماكن القديمة مثل جنينة الزهرى التى تبقت من جنان الزهرى القديمة وكذلك درب الكنيسة نسبة للكنيسة التى تهدمت وقت انشاء البركة الناصرية وكذلك درب السياس الذين يقومون بخدمة الميدان وسكنوا بهذا الدرب غالباً واستمر الدرب يحمل اسمهم حتى يومنا هذا، وكذلك اسم درب البندق حتى الآن .

وبناءاً على ذلك أرى أن الميدان كان يشغل مساحة حوالى ١٥ فداناً ويمثل موقعه الآن المنطقة التى تحد جنوباً بشارع المبتديان ومن الشرق بشارع خيرت ومن الشمال بشارع جامع الاسماعيلى ، ومن الغرب بشارع منصور [١] : (شكل ٦٣) .

إنشاء الميدان :

أنشأ هذا الميدان الناصر محمد سنة ٧٢٠ هـ لأجل الخيول لأنه كان شغوفاً بتربيتها والاكثار منها فعمل هذا الميدان [٢] ونقل إليه الطين وزرع به النخيل وغيره وجعل به سواقى ماء وجعل بالميدان حجورة لنتاج [٣] الخيل وعين لها سواسا اميرا خورية وبنى بها أماكن للخدمة [٤] .

= وقد راعت مصلحة التنظيم التى باشرت اعمالها منذ أيام محمد على على مراعاة احياء اسماء المعالم القديمة للقاهرة، ونراها قد اطلقت اسم الميدان الكبير على شارع موازى لشارع خيرت يخترق المنطقة التى بها الميدان القديم، وكذلك أطلقت اسم حارة القصر الكبير على أحد الشوارع بالمنطقة وكذلك اطلقت على أحد الشوارع اسم شارع الملك الناصر وكذلك جنان الزهرى وعطفة غيط أبو شامة. وقد جانب مصلحة التنظيم الصواب حين أطلقت على أحد الشوارع اسم البركة الناصرية حيث أنه كان يقع فى حدود الميدان وكان الأولى أطلاق اسم شارع البركة الناصرية على احد شوارع الناصرية .

(١) انظر أيضاً : محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٩، ص ٢٠٤ .

(٢) بلغ من شغف الناصر بالخيل ونتاجها أنه كان يحفظ لكل مما عنده منها سجل به اسم صاحبه الأصلى وتاريخ مولده وشرائه، وإذا حملت فرس ترقب الوقت الذى تلد فيه. ونلاحظ أن المقريزى قد سمى هذا الميدان باسم المهارى وهو خطأ فالبرجوع إلى المعاجم اللغوية نرى أن جمع مهر كلمة مهار أو الامهار أو المهارة. انظر أيضاً : حاشية السلوك، جـ٢، ص ٢١٠ .

(٣) الحجورة جمع حجر وهى الأنثى من الخيل.

(٤) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٩٩ ، السلوك، جـ٢، ص ٢١٠ ، ابن إياس، بدائع الزهور جـ١، ق١، ص ٤٥٣ .

وفى سنة ٧٢٩ هـ بنى الناصر محمد قصراً كبيراً بالميدان وأنشأ بستاناً تحت هذا القصر ، وكان يلعب الكرة هو والامراء فى ميدان المهارى وهو فى طريقة إلى الميدان الناصرى على النيل ، وكانت مواكبة إلى الميدان من الأيام المشهودة التى يخرج أهل القاهرة لمشاهدتها والفرجة عليها (١) .

وقد تعرض الميدان للاهمال أيام الناصر فرج بن برقوق (٢) وظل كذلك حتى تم اصلاحه وترميمه فى رجب سنة ٨٤٤ هـ بأمر السلطان جقمق (٣) ، كما أمر السلطان الغورى فى شوال سنة ٩١٨ هـ بتجديد عمارة ميدان المهارة فتم ذلك على يد الامير قانى باى قرا أميراخور كبير (٤) .

وقد استخدم الميدان فى الاستضافة أيضاً فأحياناً كان ينزل به نواب الشام مثل المقر السيفى تنكر نائب الشام أيام الناصرى محمد (٥) ، والمقر السيفى الحسنى نائب الشام أيام برقوق (٦) .

وفى محرم سنة ٩٢٢ هـ وصل إلى مصر ستمائة شخص من الحبشه الذين كانوا فى طريقهم للقدس لأداء الحج فأنزلهم السلطان الاشرف قانصوه الغورى بميدان المهارى واقاموا به ثلاثة أيام (٧) .

أما فى العصر العثمانى لما اهمل أمر الميادين تحولت أرض هذا الميدان إلى بستان وأوقف على مصالح التكية المولوية ومن وراءة بركة أبو الشامات .

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ، ق١ ، ص ٤٦٠ .

(٢) ذكر المقريزى أ الميدان خلا من الخيل أيام الناصر فرج. انظر الخطط، جـ٢ ، ص ١٩٩ ، ولكن نتيجة تعمير الميدان بعد ذلك عاد الخيل يربى هناك وكان السلطان قايتباى يتفقد الخيل الصالحة للسفر للشام به . انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ١٠٨ .

(٣) ابن إياس، نفس المصدر، جـ٢ ، ص ٢٢٦ .

(٤) نفسه، جـ٤ ، ص ٢٨٨، ٢٩٠ .

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ، ق١ ، ص ٤٦٩ .

(٦) نفسه، جـ١ ، ق٢ ، ص ٤٨٤ .

(٧) نفسه، جـ٥ ، ص ١٠ - ١٢ .

الميدان الصالحى

الموقـع :

قال « المقريزى » هذا الميدان كان بأرض اللوق من بر الخليج الغربى وموضعه الآن من جامع الطباخ بباب اللوق إلى قنطرة قد ادار التى على الخليج الناصرى ومن جملته الطريق المسلوكة الآن من باب اللوق إلى القنطرة المذكورة » [١] .

والحدود الحالية للميدان تحدد بشارع البستان جنوباً وشارع قصر النيل شمالاً وشارع محمد فريد شرقاً وشارع يوسف الجندى غرباً وكان هذا الشارع يفصل بينه وبين موقع الميدان الظاهرى [٢] . (شكل ٦٤) .

إنشائه :

كان موضع هذا الميدان أولاً بستاناً يعرف ببستان الشريف ابن ثعلب فاشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٣ هـ وجعله ميداناً وأنشأ فيه مناظر جليلة تشرف على النيل وصار يركب إليه ويلعب فيه

---

(١) الخطط، جـ٢، ص ١٩٨ .

(٢) محمد رمزى، تعليقه على النجوم الزاهرة، جـ٩ ، ص ٣٧ .

بالكرة(١)، وتبعه فى ذلك من جاء بعده من الملوك إلى أن انحسر ماء النيل عن تجاهه وبعد عنه فأنشأ الملك الظاهر الميدان الظاهرى على النيل(٢).

وكان الملك المعز ايبك دائم النزول واللعب بالكرة فى الميدان (٣) وكذلك كان الملك الظاهر بيبرس يلعب فيه الكرة حتى أنشأ ميدانه بجوار هذا الميدان (٤) ، ثم خرب الميدان الصالحى وحكرت أرضه وبنى عليها المساكن(٥) .

وكان للميدان الصالحى سور يحيط به وله باب ظل موجوداً إلى ما بعد سنة ٧٤٠ هـ ، فأدخله صلاح الدين المغربى فى قيسارية الغزل التى أنشأها هناك ولهذا قيل لهذا الخط خط باب اللوق (٦) وموقع قيسارية الغزل كان بجوار جامع الطباخ (٧) .

وقد استعملت مناظر الميدان الصالحى فى الاقامة بها حتى بعد أبطال لعب الكرة بالميدان مثلما حدث سنة ٦٩٣ هـ حيث أسكنت طائفة من المماليك بمناظرة (٨) .

---

(١) الخطط، جـ٢، ص ١٩٨، السلوك، جـ١، ص ٣٤١. (٢) الخطط، جـ٢، ص ١٩٨.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٩٨، العينى، عقد الجمان، جـ١، ص ١٤٢، ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ١، ص ٢٦.

* وقد ذكر المقريزى هنا « وفى سلطنة الملك المعز عز الدين ايبك التركمانى الصالحى النجمى قال له منجمه أن امرأة تكون سبباً فى قتله فامر بأن تخرب الدور والحوانيت التى من قلعة الجبل بالتبانة إلى باب زويلة وإلى الخرق وإلى باب اللوق إلى الميدان الصالحى».

(٤) ابن ايبك، كنز الدرر، جـ٨، ص ١٦٨. (٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٩٨.

(٦) نفسه.

(٧) على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ٣، ص ٢٢٧.

(٨) المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٨٠٢.

الميدان الظاهرى

الموقــع :

قال « المقريزى » هذا الميدان كان بطرف أراضى اللوق يشرف على النيل الأعظم وموضعه الآن تجاه قنطرة قدادار من جهة باب اللوق »[1] .

ويمثل موقع الميدان الآن المنطقة التى تحد اليوم بشارع البستان جنوباً وشارع محمود بسيونى (الانتكخانة) شمالاً وشارع يوسف الجندى شرقاً وشارع مريت أو شارع شامبليون غرباً[2] . (شكل ٦٥) .

انشاءه :

أنشأ هذا الميدان الملك الظاهر بيبرس البند قدارى لما انحسر النيل وبعد عن ميدان استاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأنشأ حوله المناظر والقاعات ، وظل متنزهاً ينزل إليه باستمرار ويلعب فيه الكرة هو وامرائه ومن جاء بعده من ملوك مصر[3] حتى سنة ٧١٤ هـ عندما أمر الملك

---

(١) الخطط، جـ٢، ص ١٩٨ .

(٢) محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٩ ، ص ٣٧، ١٩٣ .

(٣) المقريزى، السلوك، جـ١ ، ص ٦٦٩ ، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٨، ص ٨٨ .

الناصر محمد بن قلاوون بتخريب مناظره بحجة بعد البحر عنه وجعله بستاناً عظيماً زرع فيه سائر أصناف الشجر واستعان بخولة الشام ومطعميها فطعموا الاشجار المختلفة ومنه تعلم الناس بمصر فن تطعيم الأشجار ، وانتج هذا البستان فواكه نافست فواكه بساتين الشام (١) ، ثم أهدى الناصر محمد البستان للأمير قوصون الذى عمر تجاهه الزريبة التى عرفت بزريبة قوصون على النيل (٢) وبنى الناس الدوز الكثيرة هناك سيما لما حفر الخليج الناصرى فإن العمارة عظمت فيما بين هذا البستان والبحر وفيما بينه وبين القاهرة ومصر ، ثم أن هذا البستان خرب لتلاشى أحواله بعد قوصون وحكرت أرضه وبنى الناس فوقها الدور التى على يسرة من صعد القنطرة من جهة باب اللوق يريد الزريبة ، ثم لما خرب خط الزريبة خرب ما عمر بأرض هذا البستان من الدور منذ سنة ٨٠٦ هـ (٣) .

ويبدو أن جزءاً من الميدان هو الذى حول إلى بستان سنة ٧١٤ هـ بدليل أن « ابن ايبك » ذكر أن الناصر محمد أمر فى أول محرم سنة ٧٣١ هـ بتعمير مناظر الميدان الظاهرى وانتهت العمارة فى شهر ذى الحجة ولعب فيه الناصر محمد الكرة يوم السبت رابع عشر الشهر المذكور (٤)، كما أن « ابن ايبك » سبق أن ذكر أنه فى يوم خامس عشر ربيع الأول سنة ٧٢٠ هـ وصل رسل من بلاد بركة (احدى الدول التركية بوسط آسيا) من عند الملك أزبك انزلهم الناصر محمد الميدان الظاهرى(٥)

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٩٨ .

(٢) انظر خط زريبة قوصون فى الفصل الأول، ص ٥٣ .

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٩٨ .

(٤) كنز الدرر، جـ٩ ، ص ٣٥٧ .

(٥) نفسه، ص ٣٠٢ .

ميدان بركة الفيل

الموقـــع :

قال « المقريزى » أن هذا الميدان كان مشرفاً على بركة الفيل قبالة الكبش » [١] ، ويمثل هذا الموقع الآن منطقة الحوض المرصود بالسيدة زينب . (شكل ٦٦) .

انشائه :

كان موضع هذا الميدان قبل انشائه اصطبلاً للخيول السلطانية ، وفى سنة ٦٩٥ هـ ، أمر السلطان الملك العادل زين الذين كتبغا الذى خلع الملك الناصر محمد بن قلاوون فى محرم سنة ٦٩٤ هـ بعمل هذا الميدان ليكون بديلاً عن الميدان الظاهرى لأنه كان خائفاً على نفسه من الاغتيال وهو فى طريقة للميدان الظاهرى لأن البلاد كانت تمر بمحن وشدائد وغلاء شديد أيامه ، فأمر بأخراج الخيل من الاصطبل وعمل الميدان ، وبادر الناس من حينئذ إلى بناء الدور بجانبه ، وكان أول من بنى هناك الأمير علم الدين سنجر الخازن فى الموضع الذى عرف بحكر الخازن وتلاه الناس والأمراء فى العمارة [٢] .

---

(١) الخطط ، جـ٢، ص ١٩٨ .   (٢) نفسه، ص ١٩٨، ص ١٩٩ .

وما برح هذا الميدان باقياً للتريض حتى عمر الناصر محمد بن قلاوون قصر الأمير يكتمر الساقى على بركة الفيل فأدخل فيه جميع أرض هذا الميدان وجعله اصطبل قصر الأمير بكتمر الساقى وكان ذلك سنة ٧١٧هـ[١].

---

(١) نفسه، ٦٨-١٩٩.

الميادين الأخرى

هناك بعض الميادين لم تعمر طويلاً فى العصر المملوكى مثل ميدان الملك العزيز وميدان قراقوش وميدان القرافة وغيرها .

فأما ميدان الملك العزيز فقال عنه المقريزى « هذا الميدان كان بجوار خليج الذكر وكان موضعه بستاناً ، قال القاضى الفاضل فى متجددات ثالث عشرى من شهر رمضان سنة أربع وتسعين وخمسمائة خرج أمر الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بقطع النخل المثمر المستغل تحت اللؤلؤة بالبستان المعروف بالبغدادية ، وهذا البستان كان من بساتين القاهرة الموصوفة ، وكان منظره من المناظر المستحسنة وكان له مستغل وكان قد عنى الاولون به لمجاورته اللؤلؤة واطلال جميع مناظرها عليه وجعل هذا البستان ميداناً وخرث أرضه وقطع ما فيه من الاصول انتهى ثم حكر الناس أرض هذا البستان وبنوا عليه وهو الآن دائر فيه كيمان واتربة انتهى »[1] .

وقد حددنا من قبل خليج الذكر وقلنا كان يصب فى الخليج الكبير أمام منطقة الخرنفش وكذلك كانت اللؤلؤة فى المنطقة التى بها ضريح

---

(١) الخطط، جـ٢، ص ١٩٨، وانظر أيضاً: السلوك، جـ١، ص ١٤٢.

الشعرانى ، وبناء على ذلك نقول أن هذا الميدان كان فى المنطقة التى بها الآن ميدان باب الشعرية عند التقاء شارع الجيش بشارع بور سعيد (الخليج المصرى سابقاً) (شكل ٦٧) ، ولم يكن لهذا الميدان وجود أيام المقريزى .

أما ميدان قراقوش فينسب إلى بهاء الدين قراقوش وزير صلاح الدين وكان السلطان الظاهر بيبرس يتخذه متنزهاً له يلعب فيه الكرة ثم أمر فى سنة ٦٦٥ هـ بعمارة جامعة فى مكانه فتم عمارته سنة ٦٦٧ هـ وأوقف بقية الميدان عليه (١)

أما ميدان القرافة فكان يقع بالقرافة الصغرى وهى قرافة الامام الشافعى حيث يذكر المؤرخون أن المنطقة الممتدة من قبة الامام الشافعى إلى باب القرافة كانت ميداناً واحداً تتسابق فيه الأمراء والأجناد ويجتمع الناس هنالك للتفرج على السباق فتصبر الأمراء تسابق على حده والاجناد تسابق فى جهة وهم منفردون عن الأمراء والشرط فى السباق من تربة الأمير بيدرا(٢) إلى باب القرافة ، ثم استجد أمراء دولة الناصر محمد بن

---

(١) المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٥٥٦، ابن ايبك، كنز الدرر، جـ٨، ص ١٢٣، ابن أبى الفضائل، النهج السديد، جـ ١٢، ص ١٦١ .

(٢) ذكر « ابن إياس » أن بيدرا هذا هو بيدرا المنصورى نائب السلطنة الذى قتل الأشرف خليل بن قلاوون فقتله الأشرفيه سنة ٦٩٣هـ ودفن فى تربته بالقرافة الصغرى. انظر: بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص ٣٧٦ .

ويرى الباحث محمد حمزة أن هذه التربة كانت فى المنطقة التى تضم كل من مشهد أخوة يوسف وقبة عمر بن الفارض بالابجبية حيث ذكر السخاوى أن تربة بيدرا كانت بالقرب من المشهد. انظر: قرافة القاهرة، ص ٧٦ .

قلاوون فى هذه الجهة وتبعهم الجند وسائر الناس فبنوا الترب والخوانك والأسواق والطواحين والحمامات » [1] .

ويرى المرحوم « محمد رمزى » أن ميدان القرافة هذا هو ميدان الملك السعيد محمد بركة خان بن السلطان الملك الظاهر بيبرس البند قدارى[2] .

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢ ص ٤٤٤ ، السلوك، جـ٢، ص ٥٤٠، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٣٧٦.

(٢) ذكر « ابن تغرى بردى » فى النجوم، جـ٧ ، ص ٢٦٤ « أن الملك السعيد محمد بركة خان ابن الظاهر بيبرس كان قد انشأ ميدانا بين مصر والقاهرة ».
ويعلق « محمد رمزى » على ذلك بقوله « ميدان الملك السعيد محمد بركة خان بين مصر والقاهرة، ولم يذكر أصحاب الخطط ميدانًا معينًا باسم الملك السعيد محمد بركة خان، وربما ان المؤلف ذكر أن هذا الميدان كان واقعًا بين مصر والقاهرة، فارجح أن هذا الميدان على القرافة الذى ذكره المقريزى فى (ص ٤٤٣ جـ٢) بين خططه عند الكلام على القرافة حيث قال: وكان ما بين قبة الإمام الشافعى رحمه الله وبين باب القرافة ميدانا واحد تتسابق فيه الأمراء والاجناد، ويجتمع الناس هنالك المتفرج على السباق وفى أوائل القرن الثامن الهجرى أحدث امراء دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون الترب بارض هذا الميدان يضاف إلى ذلك أن هذه المنطقة وردت عند ذكر الأماكن الواردة فى الخطط المقريزية بوصف انها كانت بين مصر والقاهرة. ومن هذا يتبين أن ميدان القرافة المذكور هو ميدان بركة خان الذى يقصده المؤلف » انظر: محمد رمزى، تعليقه على النجوم ، جـ٧ ، ص ٢٦٤ .

« وصف الرحالة العياشى لموكب الاحتفال بالمحمل »[1]

« ... لما بلغ شهر شوال نحو النصف خرج المحمل الخروج الأول وذلك يوم يؤتى بكسوة الكعبة المشرفة من دار الصنعة [2] فتضرب سحابة [3] على باب القلعة فيحضر الصناجق كلهم والولاة والأمراء والحكام والقاضى وكل واحد مع اتباعه ، ولكل واحد مجلس معلوم فى السحابة المضروبة ، ويجلس الباشا فى الوسط وعن يمينه مجلس القاضى، وكلما أتى واحد من الأمراء وأرباب الدولة جلس فى مجلسه المعهود له ، وقربهم من الباشا بحسب قربهم من مناصبهم ، فاذا تكاملوا كلهم واخذوا مجالسهم وضعت الخيول عن يمينهم صفا كل طائفة مع جنسها إلى أن تحيط بالميدان [4] الذى هو أمام مجلس الباشا ، وهو ميدان كبير يسع آلافا من الخيل وآخر من يخرج الباشا فتخرج أمامه طائفة من عسكره بعضهم أثر بعض على ترتيب معلوم وقانون مضبوط ، وآخر من يخرج معه طائفة الشاويشية على ارجلهم عليهم جلود النمر وعلى

---

(١) العياشى هو الرحالة المغربى أبو سالم عبدالله بن محمد بن أبى بكر العياشى، المتوفى سنة ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م، وقد زار مصر فى سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م وهو فى طريقة لاداء فريضة الحج.

(٢) كانت دار الصنعة فى ذلك الوقت فى القصر الابلق بالقلعة.

(٣) سحابة تعنى خيمة كبيرة.

(٤) هو ميدان الرميلة

رؤوسهم طراطيز طويلة من اللمط لها ذيول معكوفة بين أكتافهم وعلى جباههم صفائح من الفضة مستطيلة مع الطراطير إلى فوق مموهه بالذهب تلمع لمعانا ، فاذا خرج هؤلاء خرج الباشا باثرهم راكبا ، فاذا وصل إلى السخابة قام الكل له واضعين أيديهم على صدورهم حتى يجلس إلى السحابة ، وكذلك يفعل من تقدم للجلوس من الأمراء مع باقى من يأتى بعده ، فاذا جلس الباشا جئ بالجمل الذى يحمل المحمل وهو قبة من خشب رائعة الصنعة بخرط متقن وشبابيك ملونة الاصباغ وعليها كسوة من رفيع الديباج المخوص بالذهب ورقبة الجمل ورأسه وسائر اعضائه محلاه بجواهر منظومة ابلغ نظم وعليه رسن محلى بمثل ذلك ، والجمل فى غاية ما يكون من السمن وعظم الجثة وحسن الخلقه مخضوب جلده كله بالحناء يقوده سائسه وعن يمينه وشماله آخر ويتبعه جمل آخر على مثل صفته ثم يؤتى بالكسوة المشرفة ملفوفة قطعاً قطعاً كل قطعة منها على أعواد شبه السلالم معداه لذلك يحملها رجال على رؤوسهم والناس يتمسحون بها ويتبركون ويؤتى بكسوة باب الكعبة منشوره على الأعواد وتسمى البرقع كلها مخوصة بالذهب حتى لا يكاد يظهر فيها خيط واحد بصنعه فائقة وكتابة رائعة ، ثم يمر بكل ذلك من يدى الباشا والامراء ويقومون لها اذا مرت بهم تعظيماً ، ثم يخلع على الذين صنعوها بمحضر ذلك الجمع ثم يذهب بها كذلك حملتها ويمرون بها فى وسط السوق[١] والناس يتمسحون بها حتى يبلغها إلى المشهد الحسينى فتنشر فى صحن المسجد وتخاط هناك ، ولما تفرق الجمع من ذلك الميدان خرجت . . . » .

(١) كان الموكب يبدأ من الرميلة والسروجية والمغربلين والخيامية والغورية حتى يصل إلى المشهد الحسينى .

أما عن خروج المحمل للحجاز بيقول عنه العياشى : -

« فاذا كان اليوم الحادى والعشرون من شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة وهذا اليوم هو يوم خروج المحمل الكبير الذى هو من أيام الزينة ويجتمع له الناس من اطراف البلد ويؤتى بكسوة البيت من موضع خياطتها وتجعل فى المحال التى تحمل فيها ويجتمع الأمراء والصناجق والجند جميعاً على الهيئة المتقدمة فى الخروج الأول الا أن هذا أتم احتفالا وأكثر جمعا ، فاذا تكامل جمع الأمراء على الوجه المتقدم ، وصفت الخيل والرماة ، وخرج الباشا جئ بجميع ما يحتاج إليه أمير الركب من ابل وقرب ومطابخ وخيل ورماة وغير ذلك من الأسباب التى تخرج من بيت المال فيحضر جميع ذلك فى ذلك الميدان كل طائفة لها أمير مقدم عليها حتى الطباخين والفراشين والسقائين ثم يؤتى بالمحمل الشريف على جملة المذكور ولا يقوده سائسه حتى يناول رسن الجمل للباشا فيأخذه بيده ويدفعه لأمير الحاج بمحضر القاضى الأمراء ومعاينتهم ثم يناوله أمير الحاج لسائسه فيذهب به وذلك كله كالشهادة على الباشا بانه مكن للأمير المحمل وكل ما يحتاج إليه أمير الحاج من ذهابه إلى أيابه وعلى أمير الركب الحاج بانه تسلم ذلك ويشهد على ذلك القاضى والأمراء ويكتب بذلك إلى السلطان فاذا مر المحمل بين يدى الباشا وذهب جئ بالابل يمر بها بين يديه بما عليها من القرب والمطابخ والأدوات ، كل طائفة بمقدمها ، فاذا مرت الابل كلها جئ بالمدافع وهى خمس تجرها البغال ، ثم جاء الرعاة الرحالة من ورائها فيمرون ثم تأتى الخيل فتمر فاذا مر جميع ذلك بين يدى الباشا جاء ارباب الطوائف كل طائفة من مشايخ الصوفية بشيخهم ولو أنهم رافعين أصواتهم بالذكر كالقادورية والرفاعية والبدوية

والدسوقية حتى السعاة يأتون بشيخهم فيمرون بين يدى الباشا ويعطيهم ما تيسر فاذا لم يبق احد ممن يمر بين يديه خلع الباشا على أمير الحاج خلعه وعلى كل أمرائه الذاهبون معه كالكخيا والدويدار وغيرهما ثم يودعه وينصرف ثم يمر بالمحمل وسائر الابل والعسكر وسط المدينة والناس مشرفون من الديار والمساجد التى على الشوارع ويتعطل غالب الأسواق فى ذلك اليوم .

غريبة :

أخبرنا أن بعض تلك الديار المشرفة على الشارع قد تكرى من أول السنة ولا يسكنها ولا ينزلها مكتريها ألا فى ذلك اليوم قصد التفرج وفيما سوى ذلك من الأيام تبقى معطلة أو يسكنها غيره ، وبالجملة فهذا اليوم عندهم من أعظم أيام السنة ولا ثانى له ألا يوم كسر النيل من وفائه ، ويقرب منه أيضاً يوم قدوم الحاج ، فهذه الأيام الثلاثة هى التى تحتفل لها عندهم غاية الاحتفال ويهتبل اتم الاهتبال ، فاذا خرج المحمل من الميدان الذى على باب القلعة إلى فضاء الرملة بقى الكثير من الخيل هناك للعب ولا يذهب معه الا المعينون للسفر معه ، والرملة فضاء واسع خارج قلعة الجبل فيه تباع الابل والخيل وسائر الدواب وبه يؤخذ غالب ما يحتاجه الحاج من الاثاث والامتعة وتنصب فيه أيام الموسم أرض متعددة لتدشيش الفول يديرها الرجال بأيديهم مع كبرها وقد اعطوا قوه على ذلك فطحن الرجال ارادب متعددة فى يوم واحد فتكون بالرمله صير من الفول المدشش كل صيره تزيد على المائة اردب ومن هناك يكيل غالب الحجاج فولهم ويعمرونه فى غرائرهم ويمكنونه للجمالين فيذهبون به فلا يراه

صاحبه الا فى المكان المشترط معهم وهو المويلح فى الغالب ، وفى الرملة كثير من حلق المعجبين يلعبون هناك فى سائر الأيام كأنواع المشعوذين وأصحاب القرود ومن ضاهاهم من أصحاب اللعب بأنواع الحيوان كالدب والحمير والتيوس والكلاب ، وبالجملة فأهل مصر لها ذكاء زائد وحيل غريبه وقد سخرت لهم أنواع الحيوانات فقل من أنواع الحيوان ما لا يوجد عندهم مسخرا مذللا فسبحان الذى خلق لابن آدم ما فى الأرض جميعاً « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا » .

وبطرف الرمله الذى يلى المدينة مسجد السلطان حسن وهو مسجد لاثانى له فى مصر ولا فى غيرها من البلاد فى فخامة البناء وبناهته وارتفاعه واحكامه واتساع حناياه وطول اعمدته الرخامية وسعة أبوابه كأنه جبال منحوته تصفر الرياح فى أيام الصيف بأبوابه كما تفعل فى شواق الجبال وفى احد أبوابه سارية رخامية .

* * *

ثم يسار بالمحمل على هيئته وتبعيته ثم ينزل ذلك اليوم بالعادلية خارج باب النصر فيقيم هناك إلى يوم الثالث والعشرين فيرحلون من هناك إلى البركة ويخرج أمير الحاج وجميع عسكره ويخرج مع الركب من المشيعين ومن العسكر والأمراء اضعافهم فتنصب الأسواق هناك ويخرج غالب الباعة والمتسببين بحيث يوجد هنالك ما يحتاج إلى السفر بأرخص من سعر مصر ويقيمون هناك إلى آخر اليوم السابع والعشرين ، وأما ركب المغاربة فلا يخرج منهم الا من قصده الذهاب مع المصرى مؤثرا مشى الليل على مشى النهار متسهلا مشقة السهر بالليل على حر النهار سيما فى أيام الصيف .... » .

(فيما يكتب فى البشارة بركوب الميدان الكبير بخط اللوق عند وفاء النيل فى كل سنة)

وهو مما يتكرر في كل سنة عند ركوب الميدان ، ويكتب به إلى جميع النواب الأكابر والأصاغر ؛ وتجهز إلى أكابر النواب خيول صحبة المثال الشريف ، ويرسم لهم بالركوب في ميادين الممالك للعب الكرة ، تاسياً بالسلطان ؛ فيركبون ويلعبون الكرة . والعادةفى مثل ذلك أن تنشأ نسخة كتاب من ديوان الإنشاء الشريف ، ويكتب بها إلى جميع النيابات ، لا يختلف فيها سوى صدرها ، بحسب ما يقتضيه حال ذلك النائب .

وهذه نسخة مثال شريف في معنى ذلك ، كتب به في ذى القعدة سنة ستين وسبعمائة لنائب طرابلس ، وصورته بعد الصدر .

ولا زال تحمل إليه أنباء ما يبرد غلته من مضاعفة السرور ، وتبث له أقوال الهناء بما يجب علته من النصر الموفور ، ونخصه من إقبالنا الشريف بأكمل تكريم وأتم حبور .

صدرت هذه المكاتبة تهدى إليه من السلام والثناء كذا وكذا ، وتوضح لعلمه الكريم أننا نتحقق مضاء عزائمه حرباً وسلماً ، واعتلاء هممه التى تحرس بها الممالك وتحمى ؛ وأن صوافنه ترتبط لتركض ،

وتحبس لتنهض ؛ فلذلك نعلمه من أنباء استظهارنا ما يبهج خاطره ، ويقر ناظره ؛ وهو أننا لما كان في يوم السبت المبارك خامس شوال توجه ركابنا الشريف إلى الميدان السعيد وفاض به جودنا فاخضرت مروجه ، وظهريه نسيرنا الأعظم فأشرقت بروجه ، وأقر العيون منير وجهنا المبارك وبهيجه ؛ وغدا كل ولي بموالاة إنعامنا مشمولا ، وبمنالات إكرامنا موصولا ؛ وركض الأولياء بين أيدينا جياداً ألفت نزالاً وعرفت طرادا ، وأنعطفت ليناً وانقيادا ؛ وعدنا إلى مستقر ملكنا الشريف وقد جدد الله تعالى لنا إسعادا ، وأيد لعزمنا المعان مبدأ ومعادا ؛ وآثرنا إعلام الجناب العالي بهذه الوجهة الميمونة ، والحركة التي هي بالبركة مقرونه : ليأخذ حظه من السرور بذلك والهنا ، ويتحقق من إقبالنا الشريف عليه مايبلغ به المنى .

* * *

وهذه نسخة مثال شريف في المعنى ، كتب به في العشرين من شعبان، سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، وصورته بعد الصدر :

ولا زالت ميادين سعده لا تتناهى إلى مدى ، وكرات كراته في رحاب النصر تلمع كنجم الهدى ؛ ومدور صوالجه كشواحر المران تحلو بتأييدها للأولياء وتغدو مريرة للعدا .

صدرت هذه المكاتبة وظفرها لايزال مؤيداً ، ونصرها لا برح مؤبدا ؛ تهدى إليه سلاما مؤكدا ، وثناء كنشر الأرض بالندى ؛ وتوضح لعلمه أننا لم نزل بحمد الله نتبع سنن سلفنا الشريف ، ونجرى الأمور على عوائد جميلهم المنيف ؛ ونرى تمرين الأولياء على ممارسة الحروب ، ويؤثر إبقاء آثار الجهاد فيهم على أحسن أسلوب ؛ فذلك لا نحل في كل عام بالتعاهد إلى الميدان السعيد والركوب إليه في أسعد طالع يبدى النصر

ويعيد : لما فى ذلك من ابتهاج يتجدد ، وأسباب مسرة لكافة الأنام تتأكد ودعوات ألسنتها تتضاعف من الرعية وتتردد .

ولما كان فى يوم السبت المبارك سادس عشر شهر رجب الفرد ، ركبنا إلى الميدان السعيد فى أتم وقت أخذ من السعد بمجموعة ، وأظهر فى أفق العساكر من وجهنا الشريف البدر عند طلوعه ؛ ولم نبرح يومنا المذكور فى عطاء نجيده ، وإنعام تفيده ، وإطلاق نبدئه ونعيده ؛ والأولياء بين أيدينا الشريفة يمرحون ، وفى بحار كرمنا المنيف يسبحون ، وفى ميدان تأييدنا المطيف يسبحون ؛ والكرات كالشمس تجنح تارة وتغيب ، وتخشى من وقع الصوالجة فتقابلها بوجهة مصفر مريب ؛ ثم عدنا إلى القلعة المنصورة على أتم حال ، وأسعد طالع بلغ الأنام الأمان والآمال ؛ والعساكر بخدمتنا الشريفة محدقون ، ومماليكا بعقود ولائنا مطوقون ؛ والرعايا قد ألبسها السرور أثوابا ، وفتح لها من الابتهاج أبوابا ؛ وقد آثرنا إعلام الجناب بذلك ليأخذ حظه من هذه المسرة والبشرى ويشترك هو والأنام فى هذه النعمة الكبرى ؛ ومر سومنا للجناب أن يتقدم بالركوب بمن عنده من الأمراء فى ميدان طرابلس المحروسة ، ويلعب بالكرة على جارى العادة فى ذلك ؛ ليساهم أولياء دولتنا القاهرة فى ذلك ، ويسلك من طرقهم الجميلة أجمل المسالك .

قلت : وهذا الصنف من المكاتبات السلطانية لم يزل مستعملا بديوان الإنشاء ، يكتب به كلما ركب السلطان إلى الميدان الصالحى بخط اللوق ، إلى أن عطل جيده من الركوب فى أواخر الدولة الظاهرية « برقوق » واقتصر على لعب الكرة فى الميدان الذى جرت به العادة ؛ فتركت المكاتبة بذلك من ديوان الإنشاء ورفض استعمالها .

وهذه نسخة جوابٍ عن ورود المثال الشريف بركوب السلطان بالميدان والإذن للثواب فى لعب الكرة ، وهى :

وينهى ورود المثال الشريف شرفه الله تعالى وعظمه ، يتضمن الصدقة التى أجرت أولياها على أجمل عادةٍ من الاحتفال ، والمراحم الشاملة التى وسعت لهم كرمها سافرة عن أوجه الإقبال ، والبشرى التى جمعت من أنواع المسرات ما بلغته الآمال ؛ وهو أن الركاب الشريف استقل إلى الميدان السعيد نهار السبت فى كذا من شهر كذا : فى أسعد طالع ، وأيمن وقتٍ مطاوع ؛ وفى الخدمة الشريفة من الأمراء ـ كثرهم الله تعالى ـ من جرت العادة بهم من كل كمى مقنع ، قد لبس من الطاعة برداً وبالأخلاص تدرع ؛ وامتطى من فائض الصدقات الشريفة صهوة سابق قد شمر للسبق ذيلا ، وفز كبرقٍ لمع ليلا .

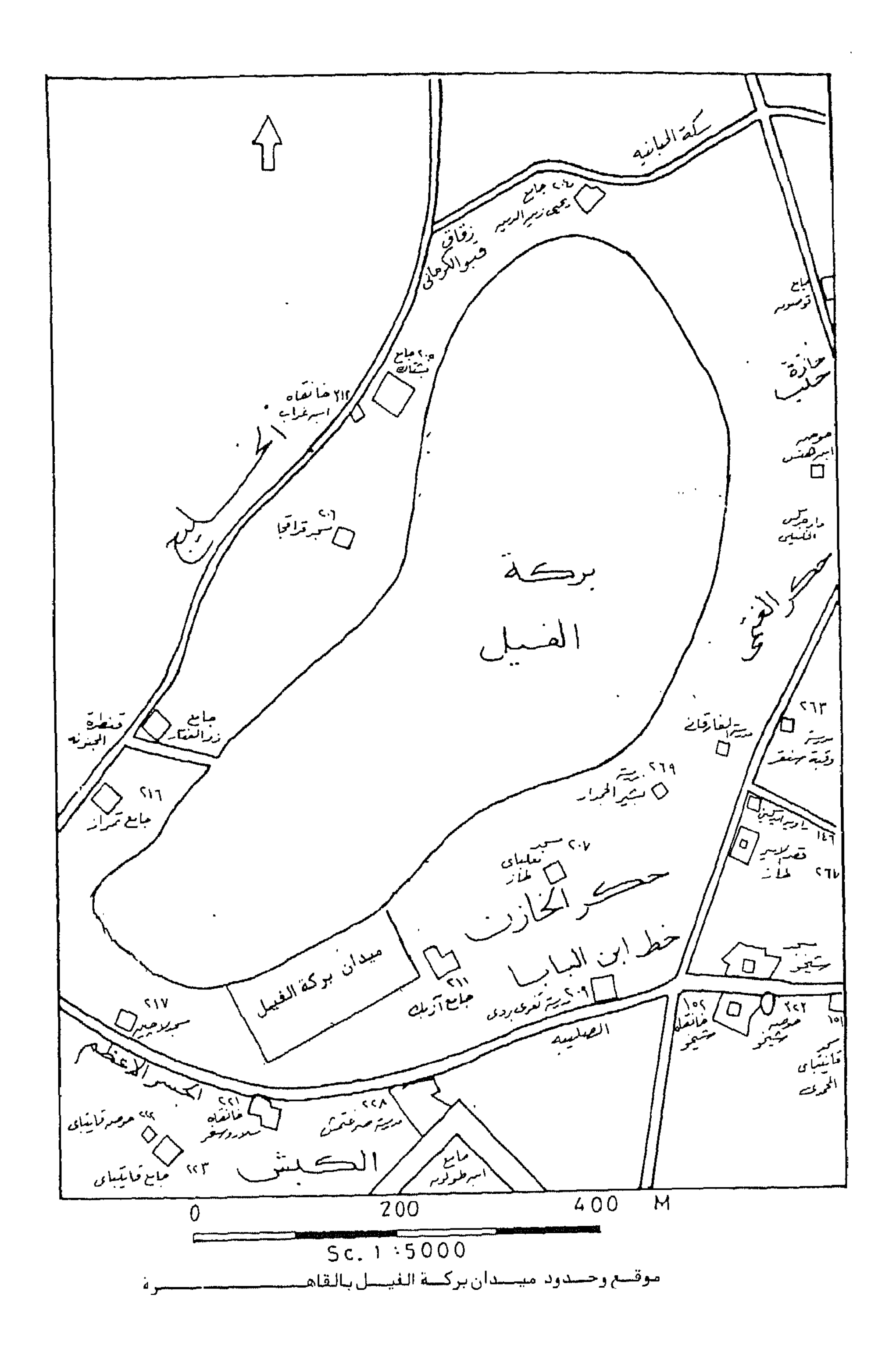
وأن مولانا السلطان ـ خلد الله ملكه ـ طلع عليهم طلوع البدر عند الكمال ، وحوله المماليك الشريفة كالأنجم الزاهرة التى لا تعد ولا تشبه بمثال ؛ والجياد لا يرى لها أثر من الركض ، والكرة تتشرف بالصولجان كما تتشرف بالتقبيل الأرض ؛ وعاد الركاب الشريف ـ زاده الله شرفاً وعظمه ـ إلى القلعة المنصورة ، إلى محل المملكة الشريفة ، وفى دست السلطنة المعظمة ؛ محفوفا من الله تعالى بلطفه وله معقبات من بين يديه ومن خلفه) .

وما اقتضته الآراء الشريفه ، والمراحم المطيفه ؛ وآثرت به إعلام المملوك بذلك والمرسوم الشريف ـ شرفه الله تعالى وعظمة ـ أن يتقدم المملوك بالنزول إلى ميدان فلانة المحروسة ، ومعه مماليك مولانا السلطان ـ خلد الله تعالى ملكه ـ والأمراء ؛ فقابل المملوك هذه الصدقات ، بتقبيل الأرض

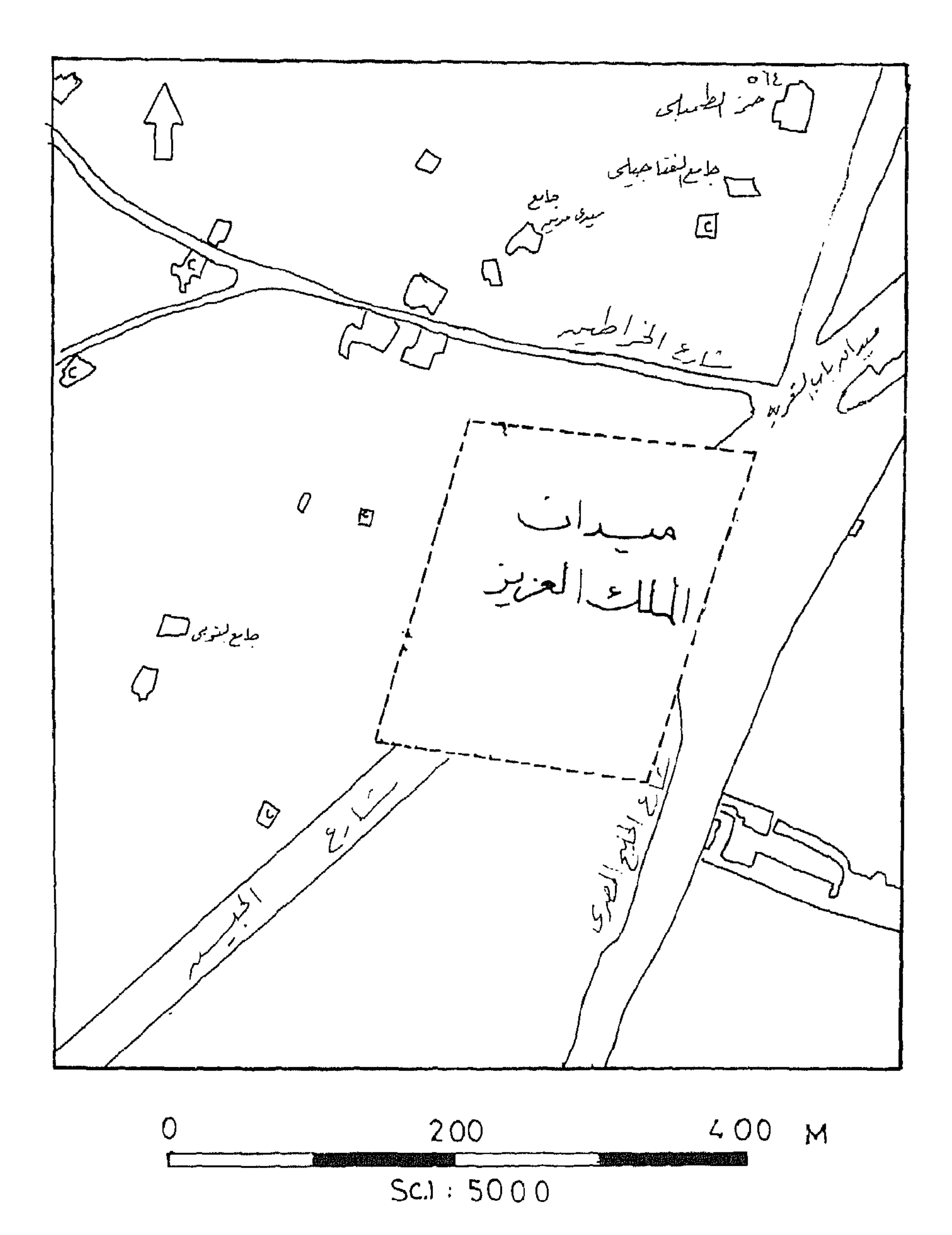
ورفع الدعوات ؛ وجمعوا بين الكرة والصولجان وحصل لهم من المسرات مالا يحصره بيان ؛ وانبسطت نفوسهم إذ أصبحوا فى أمن وأمان ، وابتهلوا إلى الله تعالى بدوام هذه الأيام التى نوعتهم بأنواع الإحسان ؛ وضجوا بالأدعية لمولانا السلطان ـ خلد الله ملكه ـ التى عمت مواهبه وفاق بمكارمه الماضين ، وأربى على سلفه الشريف بالعطاء والتمكين ، جعل الله أعداءه تحت قهره إلى يوم الدين ؛ إن شاء الله تعالى .

الفهرس

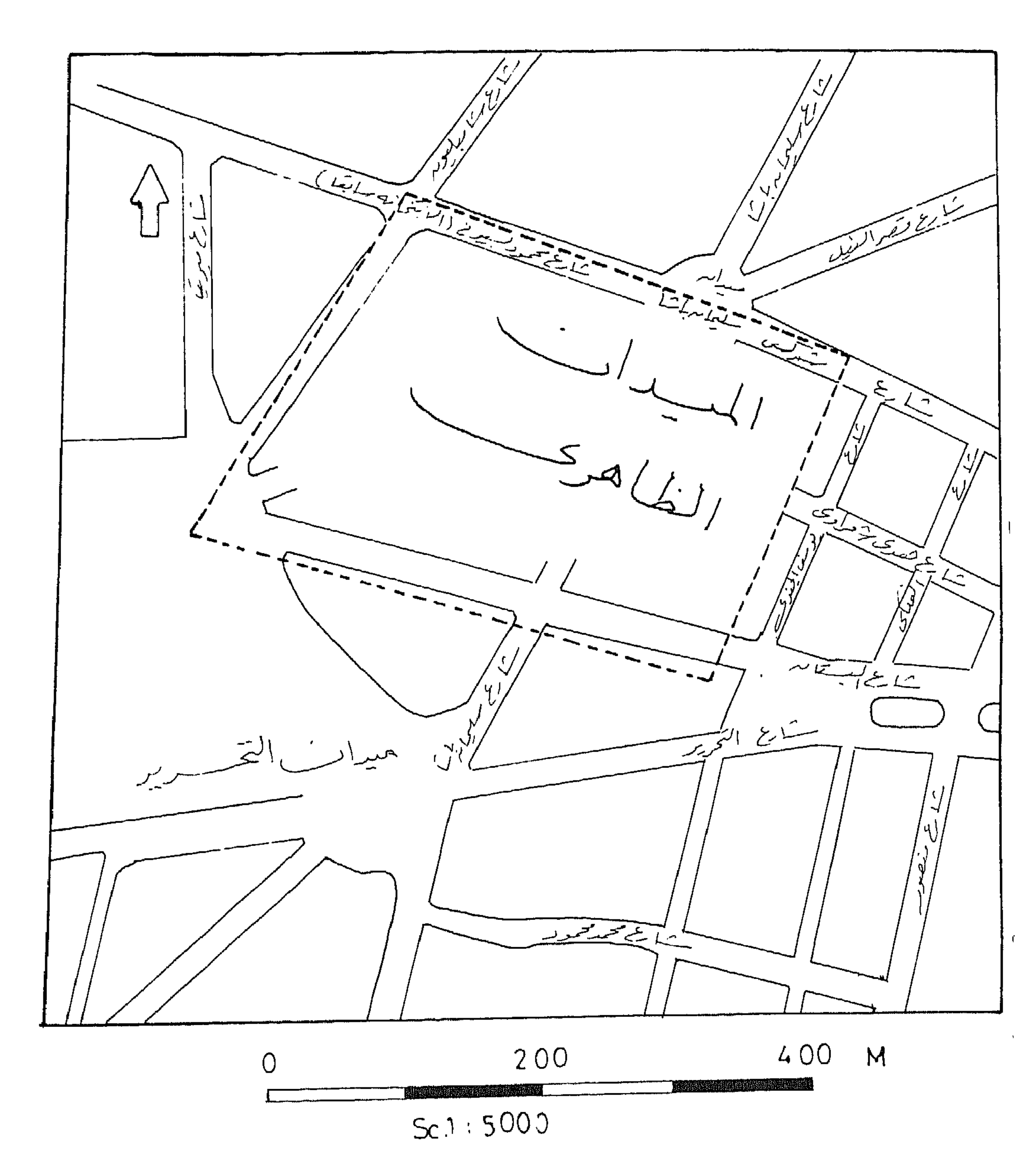
الخرائط



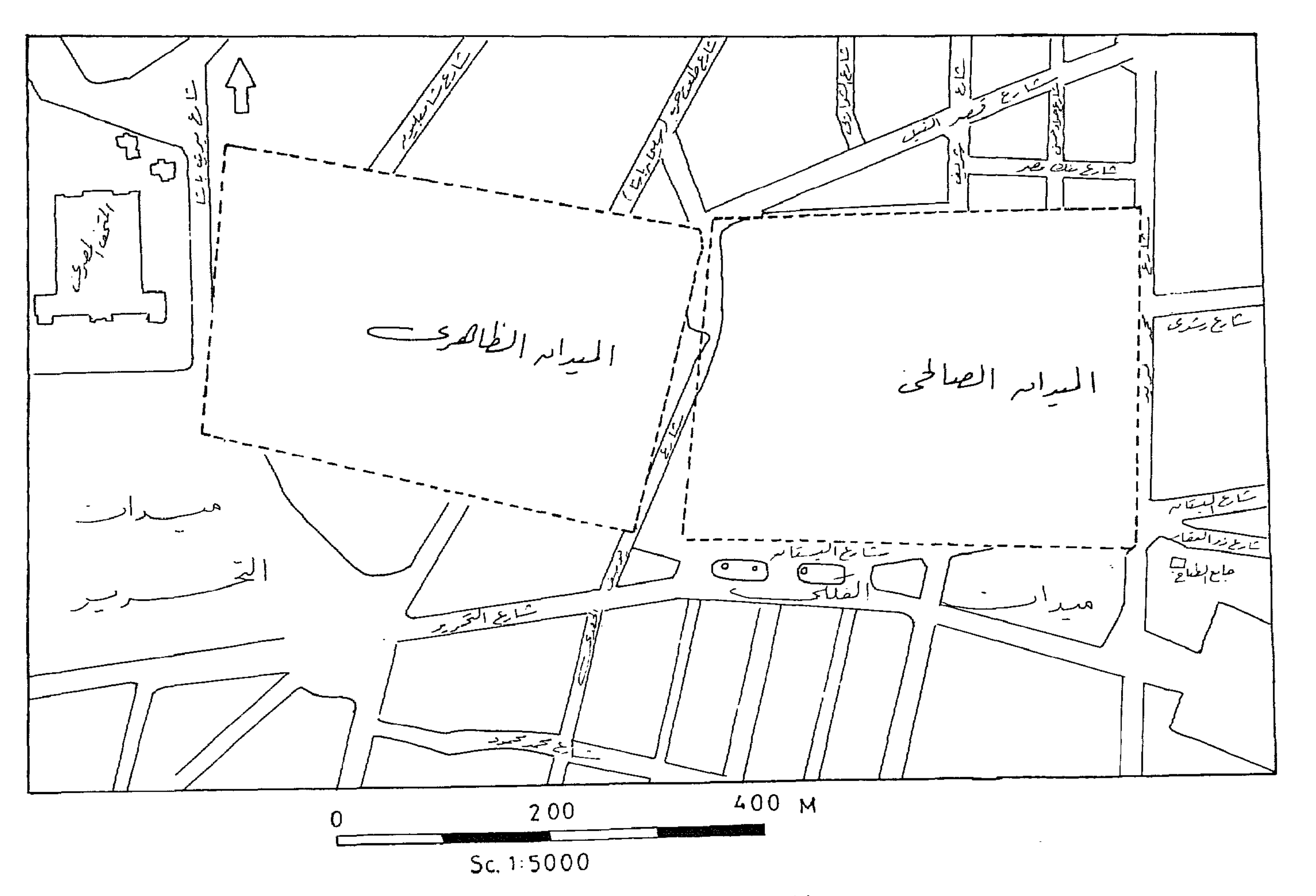
موقع وحدود ميدان بركة الفيل بالقاهرة



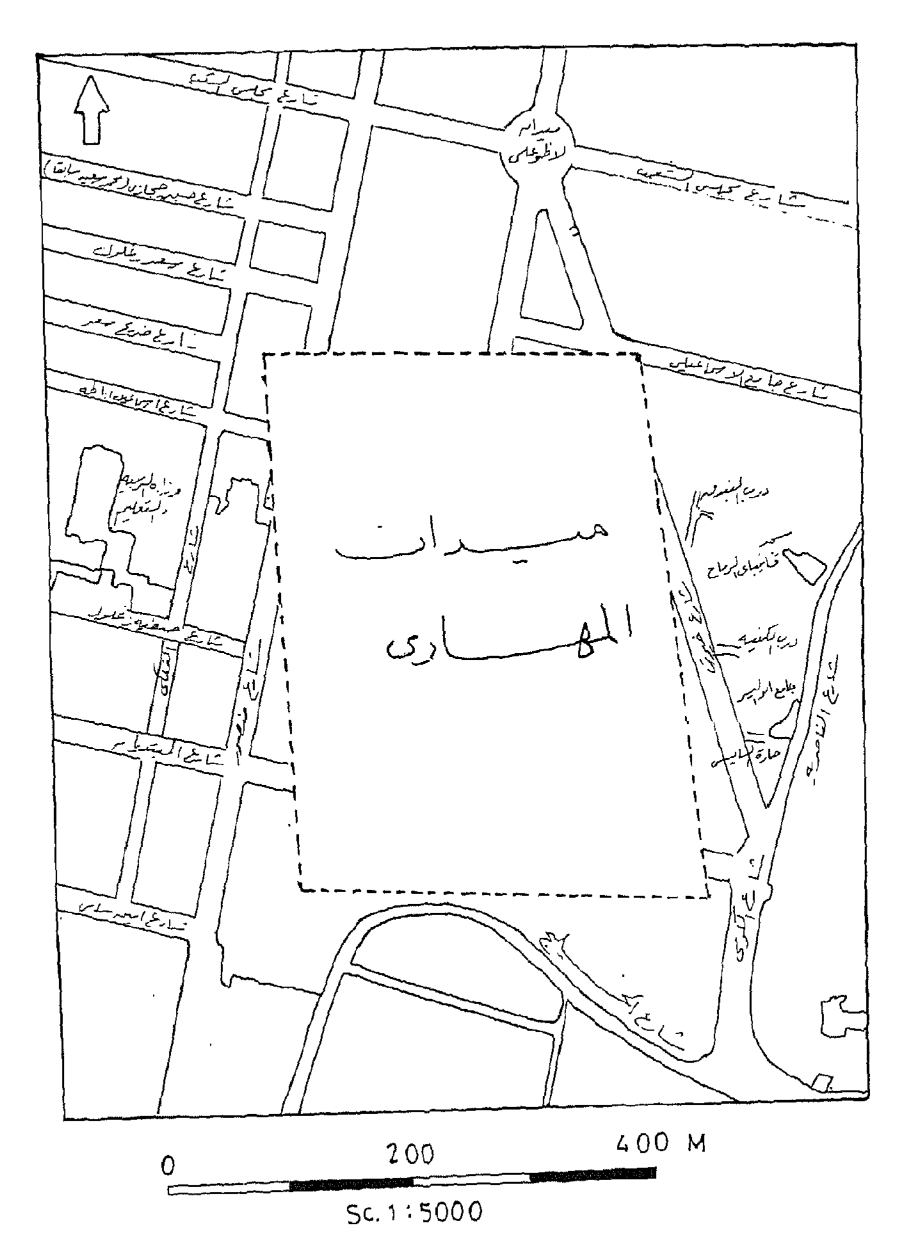
موقع وحدود ميدان الملك العزيز بالقاهرة



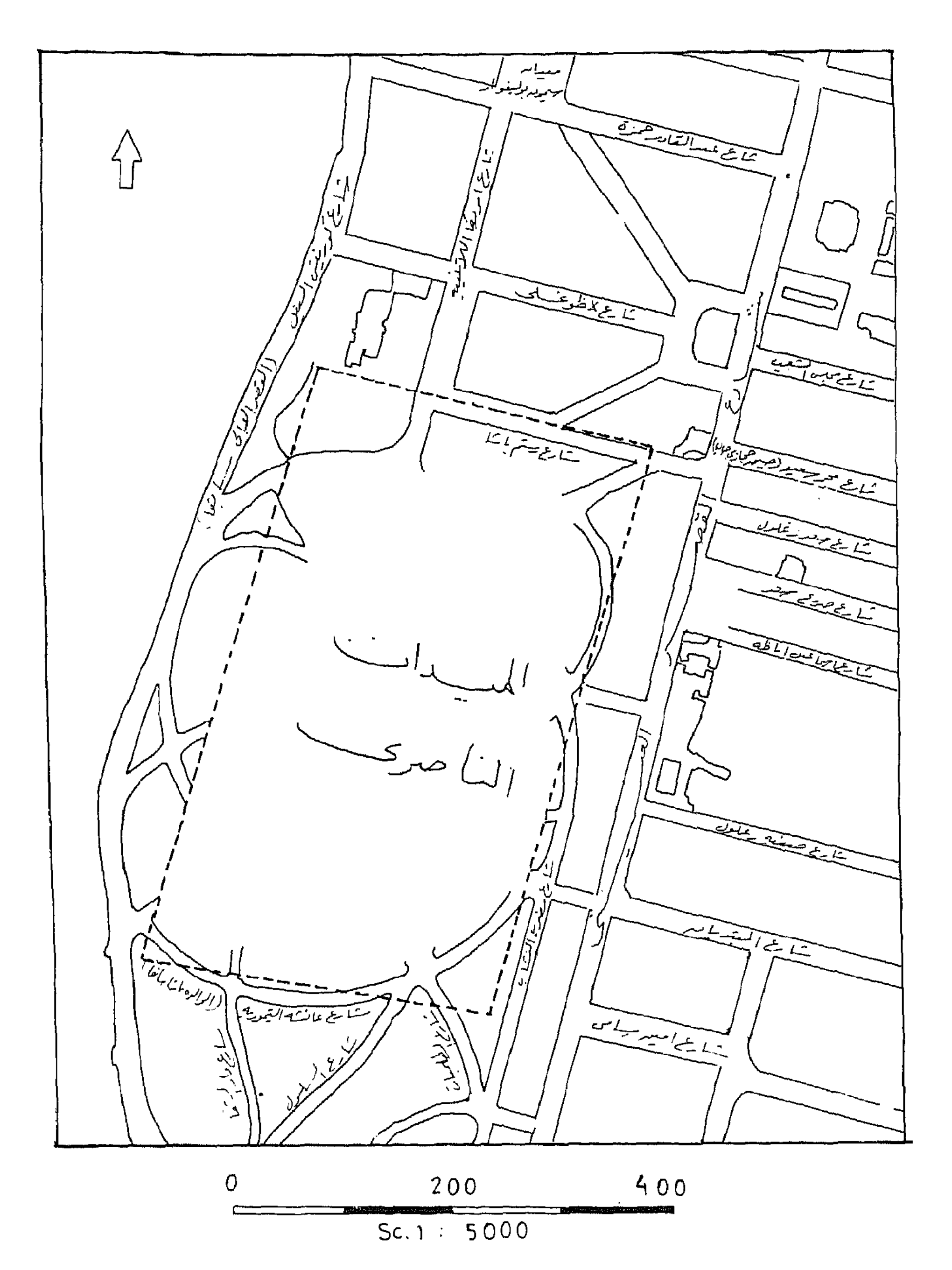
موقع وحدود الميدان الظاهرى بالقاهرة



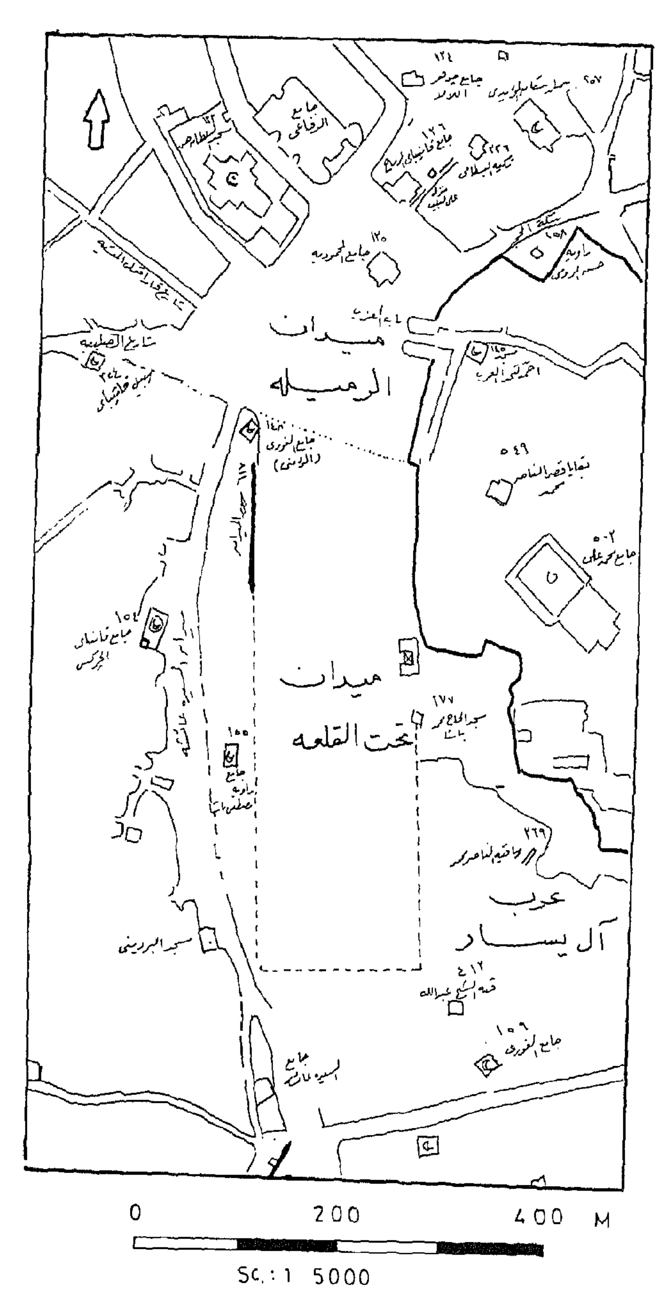
موقع وحدود كل من الميدان الصالحى والميدان الظاهرى بالقاهرة



موقـــع وحـــدود ميـــدان المهـــارى بالقاهـــرة



الميدان الناصرى على النيل



ميـدان الرميلـة وميـدان تحـت القلعـة

هذا الكتاب

كان لميادين القاهرة فى العصر المملوكى أهمية كبيرة واستخدامات عديدة، فهى أماكن لتدريب الجيوش وتجميعها واستعراضها وهى أيضا متنزهات عامة تعج بالناس فى الاحتفالات والمواسم والأعياد ويتفرجون فيها على ألعاب الفروسية من سباق للخيل وطعن بالرمح ورمى بالسهم، وللفرجة على الألعاب الرياضية بين فرق طوائف المماليك التى من أهمها لعبة الكرة من فوق الخيول التى تعرف اليوم بلعبة البولو، ومن أشهر الألعاب أيامهم أيضا لعبة القبق، وكانت أرض هذه الميادين ممهدة وترش بالماء بانتظام وتوجد فى بعضها مصاطب لجلوس المشاهدين لمشاهدة المباريات.

وكانت الميادين تستخدم فى استقبال الرسل والسفراء والقصاد من جميع أنحاء العالم وضيافتهم هناك مدة إقامتهم بمصر.

ويعتبر ميدان الرميلة بالقلعة أهم بقعة استراتيجية بالقاهرة ولعب دوراً هاماً فى الأحداث السياسية والانقلابات العسكرية والمعارك طوال العصر المملوكى، كما كان هو المكان الرئيسى للاحتفال بدوران المحمل وخروجه وإرسال كسوة الكعبة للحجاز.

الناشر